عبد رب النبي حافظ

إعداد

حـــــازم عفيفي

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب : عبد رب النبي حافظ
(أبطال حرب أكتوبر)
المؤلـــف : حـازم عـفـيـفـي
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- 0104470645
رقم الإيداع : 11275/ 2016
طبعة ثانية : 2016

فهرسة أثناء النشر

حـازم عـفـيـفـي

عبد رب النبي حافظ / حـازم عـفـيـفـي ٠– ط1 ٠– القاهرة :
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، 2016 م .
80ص ؛ 24 سم ٠– (أبطال حرب أكتوبر)
تدمك : 7-62-6169-977
1 – الرجال – تراجم
أ. العنوان 923

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

﴿الأحزاب : 23﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

مقدمة

إن ماضي الأمم والمجتمعات لا يحسب بسنوات بقائها أو أعمار شعوبها ، وإنما يحسب من رصيد حضارتها ، وميراثها من أفذاذ الرجال الذين يصنعون بأعمالهم الجليلة ماضيها ، ويرفعون مشاعل نهضتها فتضئ الطريق لحاضرها ومستقبلها ، فمن ليس له ماضي لن يكون له حاضر أو مستقبل .. فتاريخ أبطالنا الذين صنعوا للأمة أمجادها أحق أن يدرس ، وأجدر أن يعرف فنستلهم ما فيه من عَبر ، ونتبين ما فيه من أحداث .. فمن حقّ هؤلاء الأبطال العظماء علينا أن نذكر جليل أعمالهم ونتلمس بديع مواهبهم وفضائل أعمالهم .. وحقِ وطننا علينا أن نقتبس من ضيائهم ونستلهم عِبَرَ تاريخهم .. لاسيما في هذا العصر الذي يمور بأمواجٍ متلاطمة من الأحداث متسارعة الإيقاع ، فالعالم من حولنا يسير خطوات واسعة وإن لم نلاحقه ونتابع خطوه وطأتنا أقدامه .. فسيرة العظماء للأمم بمثابة القلب النابض ، فإن نُسِيَتْ أعمالهم وطُمِسَتْ سيرتهم صار تاريخها كالقليب [1] الناضب .. واليوم نحن في حاجة ماسة كي نكشف اللثام عن ذكرى مجدٍ تليد أُلقيتّ أستار من النسيان على عظماء الأمة الذين صنعوا حضارتها ، فتاه خطاهم وانطمستّ سيرتهم ففقدنا قدوتهم .. في وقتٍ تحترم كل الأمم تاريخها وترفع قدر رجالها ، فكيف بنا ونحن بلد الحضارة وأرباب المجد وعناصر الرفعة ؟!

---

(1) القليب : البئر الجاف .

ونحن هنا في معرض حديثنا عن أبطال أكتوبر ، تلك الحرب المجيدة التي لو اختصرنا تاريخنا في أحداثها لما أعجزنا حصره ولما أغفلناه ، ولا أبالغ إن قلتَ أنه عمل يعدل في عظمته قيمة الزمان .. فحرب أكتوبر نقطةٌ مضيئةٌ في ذاكرة مصر والأمة العربية .. وستظل محفورة بحروفٍ من نورٍ في ذاكرة التاريخ فهي بستانّ زاهر ، وروضٌ ناضر ، وسماء رحيبة تتلألأ بالشموس المضيئة ، والأقمار المنيرة ، والنجوم الز اهرة .. ولا عجب فإنه الجندي المصري خيرأجناد الأرض كما أخبر الرسول الكريم ، ومثار إعجاب قادة العالم الذين تزدحم كتب التاريخ بأعمالهم .. يقفون مشدوهين أمام بطولاتهم .. فهذا "نابليون بونابرت" يقول : " لو كان عندي نصف جيش مصر لغزوت العالم " ، وقال البارون "بول كونت" بعد أن أذهلته معارك الجيش المصري في سوريا عام 1832م : " المصريون هم خير ما رأيتُ من الجنود " .. ثم جاءت حرب أكتوبر 73 لتصل به إلى ذروة المجد والارتقاء ، وتشهد على بطولات أبناء مصر الكرام ، فقالت "التايمز" : " لقد برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ، وقدرة ضباطهم على القيادة ، واستخدام أحدث أنواع السلاح .. " ..

إنهم أبطال مصر خير شاهدٍ على عظمتها ، والمثل الحيُّ على رقي حضارتها ، والنبراس الذي يضئ لنا حاضرنا ومستقبلنا ..

المؤلف

البطل العظيم :

قائد مصري عظيم من أبرز صنّاع انتصار السادس من أكتوبر 1973م ، ومن أكثر القادة خبرة وحنكة وتاريخ طويل مع المعارك والحروب ..

وأكثرهم حصاداً للأوسمة والنياشين والأنواط العسكرية تقديرا لبطولاته وأعماله العظيمة فقد حصل على وسام التحرير ، ووسام ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، ووسام نجمة الشرف العسكرية ، ونوط الاستقلال ، ونوط الخدمة الممتازة ، وميدالية الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة ، وميدالية جرحى الحرب ، وميدالية 6 أكتوبر ..

إنه الفريق رفعت عبد رب النبي حافظ قائد الفرقة 16 مشاة التابعة للجيش الثاني الميداني أحد أبطال حرب أكتوبر 73 ..



العميد عبد رب النبي حافظ

مولده ونشأته :

ولد رفعت عبد رب النبي حافظ في 16 يونيو بالقاهرة ، وحصل على بكالوريوس العلوم العسكرية من الكلية الحربية ليعمل ملازما بسلاح المشاة ، ثم مديرا بمدرسة المشاة ، ومدرسا بكلية القياة والأركان .. شارك في حرب العدوان الثلاثي عام 1956م ، كما شارك في عمليات القوات العربية باليمن ، وخاض حرب يونيو 67 قائداَ لكتيبة مشاة ، لكن سوء تخطيط القيادة العليا المصرية والظروف والأوضاع السيئة للبلاد جعلت هذا البطل وغيره من الرجال في منأى عن تحقيق رغبتهم الجارفة في القتال وإرغام أنف العدو الصهيوني المتغطرس فخسرت مصر جهود هؤلاء الأبطال وخسرت معركة لم تقاتل فيها ، وظُلم الجندي المصري الذي حِيلَ بينه وبين الجهاد .. فتطلّعت نفوسهم الأبية إلى معركة فاصلة يثأرون فيها لكرامة وطنهم الجريح ..

وكان لزاما على مصر أن تحاسب المقصرين والمتسببين في الهزيمة لتستبدل القيادة المنهزمة بقيادة فتية تنهض بمستقبل مصر ويتجاوز المحنة .. وكان أمام القيادة الجديدة تحديات كبيرة لتواكب التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في مجال التسليح والذي قام بتزويد ترسانة الأسلحة الإسرائيلية بأعتى وأشد الأسلحة وبالخبرات الطويلة في الحروب الدفاعية ..

الاستعدادات الإسرائيلية وتحصيناتها :

فلقد نجحت الصهيونية العالمية في تجنيد عددٍ من الضباط [1] والجنود اليهود ضمن صفوف الجيش الثامن البريطاني الذي تصَّى للألمان في صحرائنا الغربية في فترة الحرب العالمية الثانية ، وبعد انتهاء القتال في شمال إفريقيا نجحت الصهيونية العالمية في الحصول على موافقة الحكومة البريطانية والأمريكية على إنشاء وتسليح واستخدام لواء يهوي يرفع راية تحمل نجمة داود في قطاعاته في مواجهة قوات الحلفاء ، وبمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية قام هذا اللواء اليهودي بتهريب الأسلحة والمعدات والذخائر إلى فلسطين تحت رعاية الانتداب البريطاني على فلسطين وكان نواة جيش الدفاع الإسرائيلي ، وقد استفادت العقلية اليهودية مما خاضته من حروب حيث شاهد هؤلاء أنماطًا ووسائل الدفاع المختلفة أثر تعرُّض الجيش الثامن البريطاني للعديد من الانتصارات والانكسارات وأبرز ما استفاده الصهاينة هو تطوير أساليب الدفاع حيث استخلصوا من معركة "سيدي براني" الشهيرة فشل أسلوب الدفاعات الخطية التي اتبعها الجيش العاشر الإيطالي ، كما استخلصوا من معركة "الغزالة" فشل أسلوب

---

(1) كان "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي في حربي 67 ، 73 يعمل في الخدمة ضمن صفوف القوات البريطانية المشاركة في الحرب العالمية الثانية .

الدفاع الصندوقي الذي اتبعه الجيش الثامن البريطاني ، لكن الفكر العسكري الصهيوني عثر في معركة "علم حيفا" على بغيته ممثلة في نمط الدفاع المرن الذي اتبعه الجيش الثامن البريطاني والذي استطاع أن يصد هجوم المارشال "روميل" في آخر محاولاته لاختراق صحراء مصر الغربية ..

ومنذ أن بدء الصراع العربي الإسرائيلي وحتى جولته الرابعة المتمثلة في حرب أكتوبر 73 ، كان جيش الدفاع الإسرائيلي يتبع دائما أسلوب الفاع المرن ، حيث يقومون بتثبيت جبهة أو أكثر كحصن دفاعي لهم ويحشدون مجهودهم الرئيس للهجوم على جبهة أخرى ، وعلى نحو ما قام به خط الدفاع البريطاني في "علم حيفا" قام خط الدفاع الإسرائيلي على جبهة قناة السويس لكن مع فارق كبير في المناعة والتحصينات والأساليب الحديثة في التسليح والتحصين ، لقد كان خط "علم حيفا" يستند على مانع صناعي مكثف يتكون من حقول ألغام وشراك خداعية تبلغ نحو خمسة ملايين لغم وشرك خداعي ، وحشد البريطانيون خلفها الفرقة السابعة المدرعة لتباشر مهمة الهجوم المضاد عندما تحاول قوات المحور اجتياح المانع الصناعي الأمامي فتقوم القوات الجوية الهائلة للحلفاء بمهاجمة قوات المحور .. وقد توفر لإسرائيل مانع مائي طبيعي (قناة السويس) تبعوه بمانع صناعي (خط بارليف)

أقوى بكثير من المانع البريطاني ، كما ساعتهم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم أقوى وأحدث أسلحة الطيران في العالم يفوق بكثير كل القوة الجوية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية وإن كان دفاع الجيش الثامن البريطاني في "علم حيفا" يرتكز على مانعين طبيعيين البحر المتوسط في الشمال ، ومنخفض القطارة في الجنوب ومانع صناعي في الغرب (حقول الألغام الهائلة العدد) فإن دفاعات الجيش الإسرائيلي في سيناء ترتكز على البحر المتوسط شمالاً ، وخليج السويس والبحر الأحمر جنوبا ، وهما أضخم بكثير من منخفض القطارة ، يتلوه مانع صناعي هائل (السد الترابي وخط بارليف) وبذلك كان لإسرائيل أن تطمئن إلى عدم حدوث التفاف أو مهاجمة من الأجناب على جبهة سيناء ، فطبيعة مسرح القتال وتجهيزاته الصناعية ومكوناته الطبيعية تفرض على القوات المصرية المهاجمة طريقًا واحداً للهجوم هو اقتحام قناة السويس ، واطمأنت أنه لن يستطيع تجاوزه وطريقة الاقتراب الوحيدة منها لا تتم إلا بعملية إبرار ضخمة تتسلل منها القوات المهاجمة إلى الخطوط الخلفية كما حدث للجيش الإيطالي في خط "بانزيسا" أمام النمسا خلال الحرب العالمية الأولى ، كما استفادت إسرائيل من تجربة خط "ماجينو" الفرنسي ، والكارثة التي حلت به وبفرنسا كلها عندما نجحت قوات المحور في اختراقه في 10 / 5 / 1940م ، ولم يكن العسكريون الفرنسيون

وقتئذٍ يملكون احتياطيات استراتيجية في الخلف لتقوم بمهمة الهجوم المضاد فتحوَّل خط "ماجينو" إلى خط فاعي جامد سلبي مما سهَّل اختراقه كما وصفه الجنرال البريطاني "مونتجمري" ، وكانت استفاة إسرائيل من هذه التجربة أنها لم تجعل دفاعاتها دفاعات ثابتة جامدة سلبية تنتهي بحدود خط بارليف ، بل لقد تجاوزت هذا الخط بكثير في أنساق متعددة تحتشد في أعماق سيناء يساعدها على خفة الحركة أنها تتكون من قوات مدرعة وميكانيكية ومشاة محمولة تساعدها معداتها الحديثة على الوصول بأقصى سرعة إلى حافة القناة قبل أن تنجح القوات المصرية المهاجمة في اختراقه ..

وهكذا اطمأنت إسرائيل إلى حتمية فشل القوات المصرية من ذلك بسبب تعدد أنساق الاحتياطي التكتيكي الاستراتيجي القادرة على التعامل مع أية قوات تنجح في الوصول إلى ما وراء الموانع الأساسية على خط القناة ..

كما استفادت إسرائيل من تجارب الحرب الحديثة وأبرز ما استوعبته في مجال الدفاع هي تجربة القتال في فيتنام حيث لعبت طائرات الهليكوبتر الأمريكية دورا كبيرا في معارك الدبابات فتم تزويدها بصواريخ مضادة للدبابات مما جعلها سلاحا فعالاً ، وقد قامت إسرائيل بتجهيز أعدادا كبيرة من طائرات الهليكوبتر التي اشترتها من الولايات المتحدة في تشكيلات من طائرات

(بل 206 إيه . جت . رينجر) التي وصلت إسرائيل في عام 1973م مزودة بصواريخ مضادة للدبابات ، وأطلقت على هذه التشكيلات الحديثة لقب الاحتياطي الطائر الذي أصبح نسقًا فعالاً من أنساق الدفاع الإسرائيلي داخل جبهة سيناء ..

هذا إلى جانب الدور الرئيس الذي تقوم به طائراته الحديثة في قصف القوات المهاجمة وتحقيق الاستجابة السريعة لنجدة نقاط خط بارليف الحصينة التي تقوم بالاتصال بقواعدها عند الإحساس بالخطر ..

خـــط بــارليف :

وقد تكلف إنشاء خط بارليف نحو 300 مليون دولار ، وكانت دفاعات إسرائيل المتمركزة في مواجهة قواتنا المصرية في خط بارليف تتكون من :

1. مانع مائي طبيعي (قناة السويس) يمتد لمسافة 163 كم ، وتصل أشد سرعة للتيار في القطاع الجنوبي منه إلى 1.5 م / ث ، وارتفاع المد في أقصى أجزائها إلى 1.5 م في القطاع الجنوبي .

2. سلسلة من الموانع الصناعية عرفت بخط بارليف الذي وصل طوله إلى 175 كم في خطٍ موازٍ للساحل الشرقي للقناة وبعمق 10 كم ، ويقع على الضفة الشرقية للقناة ويتكون من :

أ) سد ترابي يرتكز مباشرةً على الساحل الشرقي للقناة ارتفاعه 15 . 20 م ويصل إلى أعلى مستوٍ له أمام الجيش الثالث الميداني وبزاوية شبه عمودية قد تصل إلى 80° . 90° ، وقد ثبت بالتجارب العملية التي أجريناها داخل أراضينا في المناورات التربيبة أنه ليس هناك سلاح في العالم يستطيع أن يؤثر في هذا السد رغم أنه مقام من مادة هشَّة لا قيمة لها (التراب والرمال) .

ب) 19 موقعا حصيناً تشمل 300 نقطة قوية يصل عمق كل منها إلى 500 مترا ترتكز على المحاور الرئيسة المحتملة لتقدم قواتنا وكانت هذه النقط تتحكم في الاتجاهات التي يمكن تنزيل المعابر والمعديات بها إثناء العبور ، كما تضم كل نقطة 206 ملجأً ثقيلاً ، و462 حفرة أسلحة ودبابات محصنة بالحد الذي يوفر حماية كاملة للأفراد والمعدات من القصف الجوي والأرضي .

جـ) 73 نطاقًا من حقول الألغام والأسلاك الشائكة ، هي أسلاك "الكونسرتينا" الحلقية موضوعة في خطوط طولية تمتد من حافة القناة إلى أعلى نقطة في الحصن مما يجعل قصَّها باليد شبه مستحيل ، ووُضِعت تحتها ألغاماً ومفرقعات يتحكم أفراد الموقع في تفجيرها وهم في داخل الدشم ، وتحيط الأسلاك الشائكة والألغام بهذه النقط من جميع الجهات المحتملة لتقدُّم قواتنا .

د) عدد من مستودعات "النابلم" والمواد الملتهبة موصَّلة بمواسير إلى النقط القوية ومنها إلى سطح القناة بحيث يمكن في ثوانٍ محدوة إشعال سطح القناة وتحويلها إلى قطعة من الجحيم فور اكتشاف عبور قواتنا ، ويزيد من فاعلية هذا المانع أن العبور في مراحله الأولى يضم أساسا قوارب من المطاط (الدنجي) المصنوعة من مواد قابلة بشدة للاشتعال .

هـ) تجهيزات هندسية على مسافة تتراوح بين 3 . 5 كم تحتلها قوات الاحتياط القريب ووحدات مدفعية ميدان .

و) تجهيزات هندسية أخرى تقع على مسافة 10 كم داخل العمق تحتلها قوات احتياطية بعيدة ووحدات مدفعية بعيدة المدى .





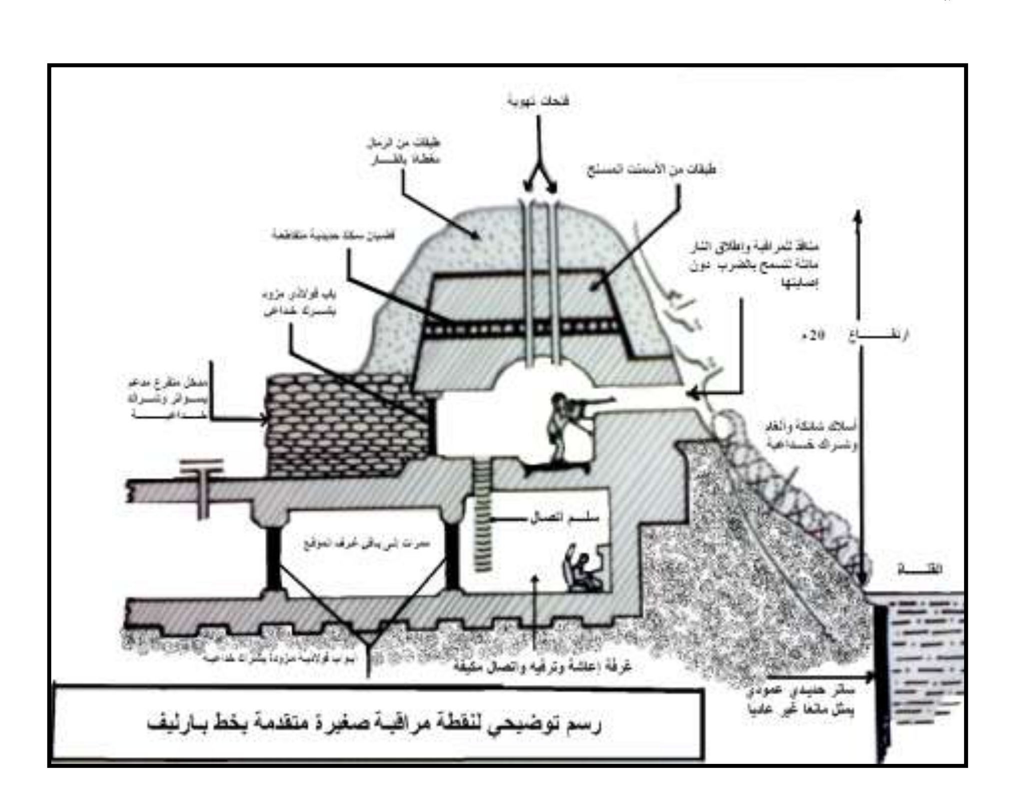
من حصون خط بارليف

ز) نقاط ملاحظة ومراقبة فوق أبراج عالية تراقب نشاط قواتنا ليلاً ونهارا بأعماق كبيرة شرق القناة ساعدهم على ذلك الارتفاع الشديد للضفة الشرقية مقارنةً بالضفة الغربية .

ح) خنادق للمواصلات تربط بين هذه النقط وبعضها ويستخدمها الأفراد في الانتقال من مكان إلى آخر دون الخروج فوق سطح الأرض ، كذلك تستخدم هذه الخنادق في الإمداد بالذخيرة والتعيينات والتي يوجد منها بالخط تكديس إداري يكفي لمدة شهر كامل وذلك بالإضافة إلى استخدامها في إخلاء الجرحى والمصابين والعناصر الطبية المنتشرة في هذا الخط .

وقد استخدمت في بناء مادة هذا الخط الحجارة الضخمة وقضبان وفلنكات السكك الحديدية ، وقد بلغ من القوة والتنظيم ما جعل الوائر الغربية تصفه بأنه "تجسيم حي للإبداع الهندسي العسكري الإسرائيلي" ، وقال عنه "حاييم بارليف" صاحب فكرة إنشائه : " إنني متأكد أن مصر إذا استأنفت القتال فلن تتمكن من تحقيق أي عبور ، وذلك لاستحالة اجتياز خط الفاعات الإسرائيلية المقام على امتداد الضفة الشرقية للقناة كما أن قواتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور قناة السويس بسبب ما يشكله هذا الخط من خطر على القوات القائمة بالعبور " . وقد أعرب الجنرال "إفراهام آدان" قائد المدرعات الإسرائيلية وذلك في شهر أبريل عام 1969م عن اطمئنانه لهذا البناء فقال : " إن الاستحكامات التي أقامتها إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة والمسماة بخط بارليف ، قد غيَّرت الموقف العسكري كليًّا ونهائيا لصالح إسرائيل ،

لقد أصبح في استطاعتنا أن نطلق النيران أو لا نطلقها وفقًا لمشيئتنا نحن ، ما دام جنودنا في حماية تحصينات خط بارليف الذي برهن فاعليته تحت وطأة نيران المدفعية المصرية في حرب الاستنزاف " . وقال الجنرال "موشى ديان" في 22 نوفمبر عام 1969م : " إن عمليات العبور المصرية .. إذا حدثت لن تؤثر على قبضة إسرائيل الحازمة المتمثلة في خط بارليف المنيع وسوف يتلقى المصريون الرد الحاسم ؛ لأن التحصينات الإسرائيلية في خط بارليف أكثر تحصينًا وتنظيما ، ويمكن القول بأنه خط منيع يستحيل اختراقه .. إننا أقوياء بدرجة تكفي للاحتفاظ إلى الأبد بخط بارليف الذي أنفقنا على إنشاء تحصيناته مبالغ طائلة " .



رسم توضيحي لنقطة مراقبة صغيرة متقدمة بخط بارليف

وهكذا تنامى لدى قادة إسرائيل شعور جارف بالغطرسة والاستعلاء ..

أيها المصريون كيف تحركون قواتكم إلى جبهة القناة دون أن تعلم المخابرات الإسرائيلية والأمريكية وهما يحصيان عليكم أنفاسكم ؟!

فكيف تحققون إذًا المفاجأة ؟!

وحتى لو .. حققتم المفاجأة من أين لكم الوقت والجهد حتى تقيموا معابركم فوق القناة لعبور قواتكم ؟!

ولو أقمتم المعابر والكباري ماذا أنتم فاعلون أمام النيران الهائلة التي تنتظركم بها مواسير النابلم التي ستحيل القناة إلى كتلة من اللهب تشوي أجسامكم مع الأسماك التي لن يحميها هروبها إلى قاع القناة ؟!

وإذا أفلت بعضكم .. فهذا الساتر الترابي الشاهق يتربص بكم ويتحدَّى .. من يتسلقه دون أن يسقط إعياء أو يأكله لغم أو تمزقه الأسلاك الشائكة الكهربائية ؟!

حتى لو أفلت البعض منكم من الساتر الترابي الرهيب ماذا أنتم فاعلون أمام قلاع خط بارليف التي يتحرك منها الموت .. فوق الدبابات ومن مزاغل المدافع ؟!

ثم هل نسيتم الذراع الطويلة ؟! هل نسيتم سلاح الجو الإسرائيلي المتفوق وما كمًّا وكيفًا ؟!

تلك كانت تساؤلات الوضع القائم على الجبهة المصرية التي استوعبتها العقلية الصهيونية وركنت إليها واطمأنت لها ولم تكن تعكس في المقام الأول إلا الصلف والغرور والاستخفاف بالقيادة المصرية الواعية والمقاتل المصري الشجاع ..

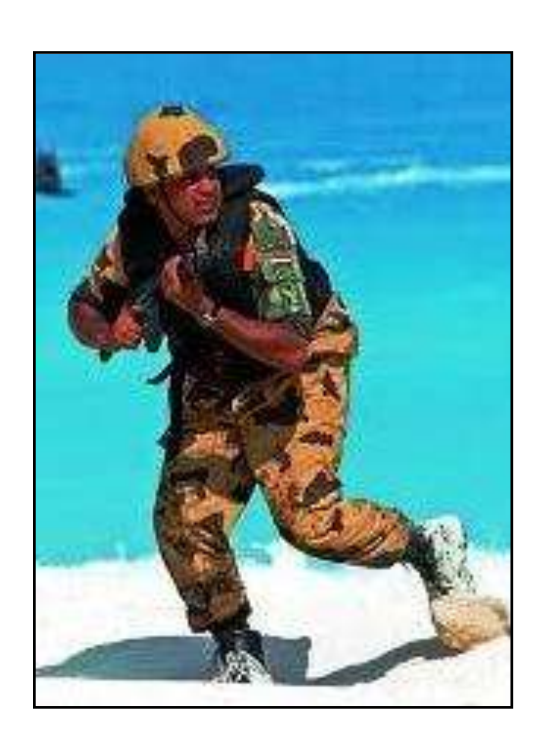
المقاتل المصري وأولويات المستحيل :

لقد أجمع الخبراء والقاة العسكريين الأجانب الذين زاروا الجبهة المصرية طوال فترات وقف إطلاق النار وشاهدوا على الطبيعة الدفاعات البرية الإسرائيلية أن العبور شبه مستحيل وأن الموانع الموجودة أمام القوات المصرية موانع شيطانية لا قبل لقوة نظامية مهما بلغت كفاءتها واستعداداتها بعبورها واحتواء نطاقاتها المتعددة ، ولم يستمع القادة المصريون إلى نصائح مثل هؤلاء الخبراء وأحايثهم وبدأوا يعدُّون أنفسهم لقهر هذا المانع الصعب فلا مستحيل أمام الجندي المصري خير أجناد الأرض ..

لقد كان خط بارليف يشكّل مانعاً غير عاديًّا يحتاج لمعجزة عسكرية لاقتحامه لكن الجندي المصري كان له رأيٌّ آخر فقد استطاع تغيير هذه الصورة في صت ساعات وكان ذلك محصلة مشوار طويل من الخبرة والتجربة والفن العسكري وقدر هائل من الشجاعة النادرة ، لقد تحطمت الاستراتيجية الإسرائيلية التي تعوِّل على نظرية الدفاعات الآمنة بالتحصينات والموانع ، أمام الاستراتيجية المصرية في القتال ، والتي تعتمد فيها القيادة المصرية على الطاقة البشرية كقوة رئيسة لمصر حيث قررت أن تقوِّي هذه الطاقة العظيمة وكتَّلت جهودها وأعطت اهتمامها لبناء جيش النصف مليون والذي نُمِّيَ فأصبح جيش المليون ..

وقد كان هذا هو المدخل المنطقي والطبيعي لإقامة الدفاعات المصرية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الانطلاق بكافة الإمكانيات في الجو والبحر والبر ، وكان تركيز العدو الإسرائيلي على حشد كميات رهيبة من النيران وحواجز اللهب والموانع الطبيعية لتعليق أي عبور مصري محتمل إلى أن تتاح الفرصة لدخول الطيران الإسرائيلي إلى أرض المعركة .. لكن كيف انهار هذا الخط رغم تحصيناته الرهيبة ؟! بل كيف تحوَّل إلى صورة عشرات المقابر الواسعة لجنود جيش الدفاع الإسرائيلي الذين لم يسعفهم الوقت ليرفعوا الرايات البيضاء طالبين الاستسلام ؟

ليس من شك أن أهم تلك العوامل التي أسهمت في إسقاط هذا السد المنيع يكمن في نوعية المقاتل المصري وشجاعته وإيمانه بالله ، إلى جانب التجربة والخبرة التي اكتسبها المقاتل المصري طوال حرب الاستنزاف ، والتدريبات الشاقة التي تلقّاها المقاتل المصري منذ توقفت حرب الاستنزاف وإلى أن انطلقت شرارة حرب السادي من أكتوبر ، ويقول الصحفي الفرنسي "إيف كو" على صفحات جريدة "الفيجارو" واسعة الانتشار : " إن قوات الرئيس أنور السادات نفّذت الخطة بمنتهى الدقة ، واستطاعت أن تشق لها طريقًا آمنا وسط حقول الألغام التي زرعها الإسرائيليون في كل شبر من الضفة الشرقية للقناة حول وعلى امتداد خط بارليف ، كما استطاعت أن تدمّر في طريقها كل أسلحة القوات الإسرائيلية التي حاولت أن توقف تقدمها " .



لقد ظهرت روح التحدي لدى القيادة المصرية وجنوها ، وأعدوا أنفسهم لقهر هذا المانع الصعب ، وكانت هناك مجموعة من الأولويات أمام القوات المصرية هي :

1. يجب وقف ضخ "النابلم" والمواد الملتهبة من مستودعاتها إلى سطح القناة وذلك قبل البدء في عملية العبور ون أن يلاحظ العدو ذلك .
2. إحداث عدة ثغرات في السد الترابي الذي لا يؤثر فيه أي أسلحة ويجب أن تكون هذه الثغرات بالحجم الكافي لمرور المرعات والمركبات المختلفة وأسلحتنا الثقيلة وذلك في أقصر وقتٍ ممكن .

3. إزالة نطاقات وحقول الألغام والأسلاك الشائكة (73 نطاقًا) حول نقط خط بارليف وذلك في أقصر وقتٍ ممكن .

4. اقتحام موانع خط بارليف والتوغل داخلها بسرعة قبل أن تبدأ مدفعية الميدان الإسرائيلية (المتمركزة خلفًا عن منطقتي الاحتياطي القريب والبعيد) في فتح نيرانها على جنودنا خاصة وأنها ترصد هذه النقط بدقة متناهية مما يجعل نسبة الإصابة 100 % وفي هذه الفترة يكون جنودهم قابعين في أمان داخل مواقعهم المحصنة وق أغلقوا أبوابها الفولاذية .

5. يجب تعطيل الاحتياطيات الخلفية (القريبة والبعيدة والاحتياطي الاستراتيجي فيما وراء المضايق) إلى حافة القناة في الوقت الذي تكون فيه قواتنا ما زالت في فترة العبور الحرجة .

6. يجب أن يصمد رجال المشاة المصريون وجها لوجه أمام مدرعات العدو إلى أن تلحق بهم مدرعاتنا .

7. يجب بناء الجسور عبر قناة السويس في خمس ساعات على الأكثر حتى تتحرك معداتنا ووحداتنا الثقيلة عبر قناة السويس ، ويجب الحفاظ على هذه الجسور سليمة وصالحة للاستعمال بالرغم من أي نشاط جوي يقوم به العدو ، وحتى لا تنعزل قوات المشاة عن مدرعاتنا وأسلحتنا الثقيلة وخطوط إمدادها من الغرب .

8. **يجب استمرار تدفق قواتنا من جميع الجهات والأماكن لتشتيت المجهود الرئيس للعدو وبناء عة رؤوس شواطئ لتأمين قواتنا على الضفة الشرقية للقناة .**

9. **يجب الحد من فاعلية السلاح الجوي الإسرائيلي الذي سينشط ويهب مسعوراً لمهاجمة قوات العبور المصرية التي تقف في العراء في صحراء سيناء .**

وقبل كل شيء كيف يمكن إجراء كل هذه الاستعدادات وقواتنا البرية على الضفة الغربية من القناة تقف وجها لوجه على مرمى البصر للقوات الإسرائيلية وتحت الملاحظة المباشرة لأبراج المراقبة العالية ونقاط الملاحظة العديدة التي أقامها العدو على الضفة الشرقية من القناة يراقب منها النشاط اليومي لقواتنا ليل نهار ؟!

وقد بلغ الغرور والغطرسة بالقيادة الإسرائيلية مبلغًا كبيرا لدرجة أن "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي قال : " من السهل أن تعرفوا متى ترفع القوات المصرية درجة استعدادها وذلك حتى حين يلبس جنودهم الخوذات .. " .

فكيف استطاعت مصر أن تحقق عنصر المفاجأة .. لقد بدأ التخطيط لتحقيق ذلك على مستوى القيادة العليا وتدرَّج إلى مستوى القاعدة ..

ففي يوم 27 أغسطس عام 1973 م ألقى الفريق أول / أحمد إسماعيل وزير الحربية المصري والقائد العام للقوات المسلحة كلمة بمناسبة تخريج دفعة جديدة من كلية ضباط الاحتياط وكانت كلماته تفيض بالثقة والحسم إذ قال : " إن لن يستطيع مهما بالغ في الحرب النفسية علينا أن ينال من قدرتنا على التصدي له في معركة شرسة وطويلة نكيل له الصاع صاعين .. الجريح منا بجريحين منه ، والشهيد منا بقتيلين منه " .

وقد صرَّح وزير الحربية المصرية بذلك فيما بعد خلال حديثه مع الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام عندئذٍ أن قرار الحرب كان قد اتخذ فيما بينه وبين الرئيس السادات قبله بشهر ، وكانا معا يقومان بالعد التنازلي (ي - 30) ثم (ي - 29) ثم (ي - 28) .. حتى وصلا إلى (ي) فقط الذي وافق يوم 6 أكتوبر73 ، وتم التدرج في وصول الخبر من الضباط الكبار إلى قادة الفرق والألوية والكتائب إلى أن وصل إلى الجند في الموعد المحدد .

عناصر المفاجأة :

واتبعت القيادة المصرية بنوداً خداعية كثيرة بلغت نحو 65 بنداً خداعيا في مرحلة ما تسمَّى "بضباب ما قبل المعركة" فقد ظل رجال موجة العبور قابعين داخل خنادقهم بكامل أسلحتهم ومعداتهم لمدة زادت على 12 ساعة كاملة دون أن يرفع أحدهم رأسه ويراه العدو بكامل معداته وملابسه الميدانية ، وظلت باقي القوات حتى آخر لحظة لا تبدي استعداداً أو توترا ، بل كانت هناك جماعات منهم قد خُصصت للاستحمام في مياه القناة وغسل الملابس وصيد السمك ، وجماعات أخرى تسترخي تحت أشعة الشمس ، وأفراد يقومون "بمص القصب" و"تقشير البرتقال" ، وغيرهم يمارسون أنواعاً مختلفة من الألعاب الرياضية ..



وظلت هذه الصورة قائمة دون أي افتعال وكأنما توقف الزمن عندها ، وقبل دقائق من الساعة الثانية ظهرا خرج فجأة رجال المدفعية يرفعون شباك التمويه من فوق آلاف المافع لتطلق أعيرتها في حين انطلقت الطائرات المصرية على ارتفاعات منخفضة لا ترصدها شبكات الرادار الإسرائيلية فمرّت الأهداف الحيوية داخل سيناء ، مما عرّض القوات الإسرائيلية لصدمة وذهول من هول المفاجأة التي تحققت على المستويين الاستراتيجي قبل بدء العمليات ، والتكتيكي عند بدء العمليات حتى خرج الوصف الشهير الذي عبّ ر عن المفاجأة التي تلقّتها إسرائيل في حرب أكتوبر وهو : "إن العرب استطاعوا أن يمسكوا بإسرائيل وهي عارية من الملابس " ، وهكذا قال "توماس تشنهام" مراسل وكالة "اليونيتد برس" : " إن القوات المصريـة فاجأت إسرائيل وهي بدون (ملابس) عندما اقتحمت كل المواذ ع . إن هذا العمل قد سبب نزيفًا في الأرواح بالنسبة لإسرائيل . إن الإسرائيليين الذين ركنوا إلى الاعتقاد بأن مخابراتهم وجيشهم هو أقوى جيش يتساءلون لماذا وكيف حدث ما حدث ؟! " .

وانطلقت شرارة الحرب :

وانطلقت الموجة الأولى من العبور كالإعصار .. فقد كان لزامًا على قوات العبور أن تتدفق القوات والأفراد فور نزولهم في سرعة البرق للوصول إلى الضفة الأخرى بأسرع ما يمكن .. وانطلقت الموجة الأولى من العبور كالإعصار وكان رجال الصاعقة وبعض عناصر المشاة أول من عبر قناة السويس ليتجهوا فورا إلى مواسير "النابلم" والمواد الملتهبة وقاموا بسدها وتخريب المضخات الموصّلة إلى سطح القناة ، وقاموا باحتلال مصاطب الدبابات ونصبوا كمائن عندها للدبابات الإسرائيلية .. ويقول أحد قادة الدبابات المسئولين عن خط بارليف : " لقد وصلت القوات المصرية إلى خط بارليف بسرعة لا يصدقها عقل .. إن الجندي الإسرائيلي قد أذهلته المفاجأة ولم يفهم حقيقة ما حدث .. " .

لقد تجسدت البطولة رجالاً عبروا القناة في موجات العبور الأولى يفتحون الثغرات في وسط الألغام انطلقوا يفتحونها بأجسادهم .. يفتحون طريقًا يمر عليه باقي الرجال .. رجل يقتفي خطوات رجل وتتمزق أجسادهم أشلاء بتأثير الألغام ، ولا يتوقف طابور الشهداء .. وفي مواجهة نيران العدو التي تدفقت بجنون من فتحات الدشم حتى أن بعض الرجال كانوا يسدون بأجسادهم هذه الفتحات لتتوقف وينجح باقي المتحصنين من الوصول إلى العدو المتحصن ،

لم تمنعهم النيران بل كانوا يتقدمون وصدورهم مكشوفة لمواجهة المتحصنين اليهود .. وتدفقت القوارب فوق سطح المياه كالسهام وهم يغالبون التيار السريع والمتغيّر لمياه القناة لا يبالون بالأخطار بل كان هدفهم الوصول إلى الضفة الأخرى وبأسرع ما يمكن .. وعبرت الطليعة الأولى للعبور وأسرع رجال المشاة صوب المواقع الحصينة لخط بارليف وكان معهم مفاجأتين للعدو :



أولاهما : أنهم هاجموا تلك المواقع بالمواجهة ومن الأمام مباشرة على عكس ما توقع العدو تماماً.

وثانيهما : أن إسرائيل كما توقعنا نزلوا في حصونهم وأغلقوا عليهم الأبواب الحديدية ، فقام رجالنا بتجهيز ألأغام ملصقة بـ طريقة خاصة وفي لحظات فسَّخوا الأبواب الحديدية ، واقتحموا الحصون ليدور قتال عنيف بالسلاح الأبيض بينهم وبين العدو في حين كانت مدافع الميدان الإسرائيلية في الخلف عن منطقتي الاحتياطي القريب والبعيد قد فتحت نيرانها بالفعل على هذه الحصون

ظنًا منهم أن رجالنا مازالوا بالخارج ، وبعد ساعة و23 دقيقة سقطت أول نقطة حصينة منه في أيدي رجالنا وكانت عند الكيلو 19 جنوب بورسعيد (في قطاع الجيش الثاني) وتلاها سقوط باقي النقط الحصينة ..

ويصمد رجالنا من المشاة أمام المدرعات الإسرائيلية التي شنَّت الهجوم المضاد في معجزة ليس لها مثيل في تاريخ الحروب وألحقت بصفوف العدو خسائر مذهلة حتى يتم بناء الكباري لتعبر المدرعات والدبابات ..

ووقف "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي يصرخ في كلمة وجهها إلى التليفزيون الإسرائيلي في 10 / 10 / 1973 م ، قائلاً : " .. أيها المواطنون .. لن أخفي عليكم أن قواتنا في الجولان وفي قناة السويس في حالة ذعر وتقهقر تام .. ولم يعد لخط بارليف وجود ، كما أن أجهزة إشعال مياه القناة صارت خرافة .. وأصارحكم بأنني لا أتمنى أن أقف في هذه اللحظات موقف رجال مدرعاتنا .. أما سلاحنا الجوي فقد تم تقييده بواسطة الصواريخ المصرية ، فإن خسائرنا في اليوم الأول فقط بلغت 60 طائرة منها 36 طائرة فانتوم .. " ، وانفجرت "جولدا مائير" رئيسة الوزراء الإسرائيلية باكية وهي تقول : " من كان يظن أن يفعل بنا العرب ذلك ؟ " ..

الاستعدادت المصرية :

لقد كانت القيادة المصرية على أعلى درجات الاستعداد والتدريب ، حسبت لكل شيءٍ حساباته حتى أدق التفاصيل .. فالحروب الحديثة ليس فيها معجزات ولكن هناك تصور وحسابات دقيقة وتخطيط ثم تنفيذ جيد وبعد ذلك يتحدد النصر أو الهزيمة . بتوفيق الله تعالى . كل شيءٍ كان محسوبا وكل تصوراتنا كانت سليمة ، وقام الرجال جميعا بأكثر مما كنا نحلم به . ولم يكن قتال الجنود المشاة أمام مدرعات العدو انتحاريا كما وصفه الإعلام الغربي بأن رجالنا يلقون بأجسادهم أمام الدبابات الإسرائيلية ، فهذا العمل غير المحسوب يصدر من مرضى وليسوا أبطالاً وإنما كان رجالنا يقفون أمام الدبابات وفي أيديهم سلاحا يعلمون جيداً أنهم قادرون على استخامه جيداً ولم يحجم أبداً عن خطر ولم يتردد ثانية واحدة عن التضحية بحياته فداء لوطنه وإرضاء لربه ..

ويتحدث المؤرخ العسكري المصري جمال حمَّاد عن استعدادات الجيش المصري للحرب فيقول : " إن الظروف التي خلقتها مشكلة عبور قناة السويس فرضت على القيادة العامة المصرية ضرورة ابتكار شدَّة ميدانية تستطيع أن تستوعب جميع أحمال جندي المشاة بطريقة جيدة بعد أن ثبت أن الشدَّة الميدانية التي كان معمولاً بها في القوات المسلحة وقتئذٍ أصبحت لا تتناسب مع الظروف الجديدة ، وقد توصلت إدارة المهمات إلى العينات









المطلوبة بعد عدة تجارب ، وقبل نهاية عام 1972م تم تشغيل 50 ألف شدَّة ميدانية من هذه الأنواع الجديدة ، كما زُوت الشدَّة بزمزمية مياه سعة 2.5 لتر بدلاً من القديمة المعدنية التي كانت تسع ثلاثة أرباع لتر من المياه حتى يكون مع الجندي ما يكفيه من الماء ليوم كامل كما تم تزويد المشاة بعربات جرٍ يدوية يمكن جرها لمسافة 5 كم بواسطة فردين بعد تحميلها بحوالي 150 كجم من الذخائر والمعدات العسكرية عبر أرض غير ممهدة .. لقد كان جندي المشاة يعبر الساتر الترابي يحمل كل منهم على ظهره ما لا يقل عن 35 كجم من الأسلحة والمعدات .. وقد تم تزويد جندي المشاة بالكثير من المعدات الحديثة ، ففي منتصف عام 1972م كان قد تم تجهيز جندي المشاة بأجهزة الرؤية الليلية التي يعمل بعضها بالأشعة تحت الحمراء وبعضها الآخر يعمل بنظرية تكبير وتقوِية ضوء النجوم وإلى جانب هذه الأجهزة الحديثة كان هناك العديد من الأجهزة والمعدات البدائية البسيطة مثل النظارات السوداء والمعتمة التي كانت تُصنع من زجاج سميك معتم مثل الذي يستخدمه عمال لحام الأكسجين وذلك حتى تقي الجنود عندما يستخدم العدو أشعة "زينون" بالغة القوة في تعميتهم ، وضمن الأسلحة الحديثة التي استخدموها سلالم الحبال وهو سلم يشبه السلالم المستخدمة في الوحدات البحرية أجنابه مصنوعة من الحبال ودرجاته من الخشب يسهل طيه وحمله وفرده على الساتر الترابي

وبذلك يستطيع جندي المشاة تسلق الساتر الترابي دون أن تغوص قدماه في التراب ، كما أنه بوضع سلمين متجاورين يمكن أن نجر مدافعنا مثل : المدفع عديم الارتداد (بي . 10) ، و(بي . 11) و صاروخ (المالوتكا) ، والمدفع المضاد للطائرات (سام . 7) وغيرها ، وكذلك عربة الجر التي ترافق المشاة والتي استطعنا أن نتغلب بها على أعقد مشكلة واجهت قواتنا في مواجهة دبابات العدو قبل عبور الدبابات المصرية وهي تزويد هؤلاء المشاة بالأسلحة والمعدات وضمان حدوث ذلك بسرعة حتى نستطيع الصمود أمام مدرعات العدو ..

وكما قام المشاة بجهدٍ رائع في الجبهة الأمامية ، تم إبرار قوات الصاعقة ، خلف صفوف العدو في أعماق سيناء ومناطق جبال سيناء الجنوبية وساحل سيناء الشمالي تقلهم عشرات الطائرات الهليكوبتر بكثافة فقطعوا الطريق على احتياطيات العدو ..

بطولات الفرقة 16 مشاة :

وكانت الفرقة 16 مشاة من العلامات البارزة في حرب أكتوبر 1973م وذلك بفضل قائدها المخضرم العميد عبد رب النبي حافظ الذي قاد رجاله بصبر وعزيمة وأفاض عليهم من شجاعته وفنون درايته العسكرية ، وكانت الفرقة 16 مشاة من أشد الفرق المصرية التي تصت للعدو الإسرائيلي بـ أسا ، وكان نطاقها عملها يمتد من الدفرسوار جنوبا إلى شرق الاسماعيلية شمالاً ، وكانت تمتد مواجهتها على الخط العام من "النقطة 57 " و"كثيب النخيل" و"أبوقفة" بسيناء .. وكانت الفرقة 16 مشاة تضم اللوائين : 16 مشاة في اليمين ، و112 مشاة في اليسار ، وهما يعملان كنسق أول (خط أول) ، ثم يأتي من خلفهما في النسق الثاني اللواء 3 مشاة ميكانيكي .

وقد واجهت الفرقة 16 مشاة مقاومة عنيفة من جانب الجيش الإسرائيلي بحكم موقعها المتميز عند المنطقة المفصلية بين الجيشين الثاني والثالث .. فبعد أن أتم العميد عبد رب النبي حافظ وفرقته دورهم في العبور ودكُوا حصون خط بارليف المواجهة لمواقعهم ، ومع تصعيد عمليات القتال ومواصلة التقدم في عمق سيناء ، قام لواء مدرع إسرائيلي بشن هجوم مضاد في اتجاه الفرقة 16 مشاة لمنعها من تطوير الهجوم شرقًا ،

وبدأ هجومه هذا في السادسة والنصف من صباح يوم 8 أكتوبر بهدف اختراق رأس كوبري الفرقة 16 مشاة وخلخلة الدفاع المصري في القطاع الشمالي من الجبهة ، وفي الساعة العاشرة صباحا وأثناء تقدم البطل العميد شفيق متري قائد اللواء 112 مشاة ميكانيكي الذي كان في النسق الأول لأعمال الفرقة 16 مشاة ، واشتعل قتال رهيب من الجانبين أظهر أبطال هذا اللواء فيه بطولات عظيمة وأُصيب قائد اللواء بقذيفة مباشرة وقُتل فداء لمصر وتوالى سقوط الشهداء .. وفي الساعة الثانية والنصف بعد ظهر هذا اليوم دفعت القيادة الإسرائيلية بقوات كبيرة اشتبكت مع قلب الفرقة 16 مشاة في هجوم مضاد ، وقد كانت بحق معركة عنيفة واجهت فيها قواتنا أعداداً هائلة من جانب العدو مدعومة بأحدث الآليات والدبابات والطائرات التي هاجمت منطقتي "57" و"الطالية" واستطاعت قوات العدو أن تحتل منطقة 57 " الحيوية بعد قتال عنيفٍ دام استشهد فيه عددٌ كبير من رجالنا ، وواصلت القيادة الإسرائيلية دفع المزيد من قواتها بغرض توسيع الاختراق والاندفاع تجاه "الطالية" في محاولة للاستيلاء عليها ، لكن أبطال هذه الفرقة هاجموهم ببسالة وضراوة فدمَّروا للقوات الإسرائيلية 38 دبابة ، و8 عربات مدرعة ، وارتدت القوات الإسرائيلية مذعورة بعد أن فشلت في اختراق "الطالية" ، ثم عادت القيادة الإسرائيلية في صباح يوم 9 أكتوبر لتهاجم بقوات جديدة فدفعت 60 دبابة جديدة ، واخترقت الجانب الأيمن للفرقة بعمق 3 كم ، وأدرك العميد عبد رب النبي حافظ بحنكته العسكرية أن هذا لا يمكن أن يكون هو الهجوم الرئيس للعدو ،

فقد أكدت عناصر الاستطلاع ذلك بتقاريرها التي أفادت بأن العدو يحشد اللواء 600 مدرع لتوجيه ضربات قوية في قطاع ضيق لا يتجاوز عدة كيلومترات وذلك كي يحقق تفوقًا يستطيع بواسطته تدمير رأس كوبري الفرقة 16 مشاة والوصول إلى القناة ، وبناء على ذلك قام القائد الفطن بالاحتفاظ باحتياطيات الفرقة ولم يدفع بها لمواجهة الدبابات الستين ولم يبلع الطعم كما ظن العدو لإسرائيلي المغرور ، وكان واثقًا من قدرة رجاله في الدفاعات الأولى على تدمير هذه الدبابات ..

وقاد العميد عبد رب النبي حافظ معركة شرسة وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ، وأظهر قائد الفرقة ورجاله بسالة نادرة وشجاعة غير عادية ، وألقى الله الرعب في قلوب أعدائه فاضطروا إلى الانسحاب وقد تملكهم رعبٌ شديد وخلّفوا ورائهم 20 دبابة من الستين دبابة المهاجمة ، وصدقت توقعات القائد المحنك فبدأ العدو الإسرائيلي هجومه الرئيس بحجم لواءٍ كامل هو اللواء 600 المدرع وكان يضم 110 دبابة بالاضافة إلى الدبابات التي بقيت من المواجهة الأولى تدعمها قوات المشاة الميكانيكية الإسرائيلية ، واستغل القائد المصري حشد المدفعية المصرية في الحاق أكبر الخسائر بالعدو الإسرائيلي ، وواصل العدو هجومه رغم الاستنزاف الهائل لقواته ، وعندئذٍ حرَّك القائد المصري قواته الاحتياطية التي اشتركت مع العناصر المدرعة في الإجهاز على الهجوم الإسرائيلي المضاد وإفشال خطة الاختراق الجديدة ،

وانتهت هذه المعركة الضخمة في الرابعة والنصف من مساء ذلك اليوم ولقى اللواء 600 المدرع نفس مصير اللواء 190 مدرع الذي دمرته الفرقة الثانية مشاة ، واستمر العدو في دفع دباباته وقواته من المشاة الميكانيكية ووصل عدد دباباته في هذه المحاولة إلى أكثر من 100 دبابة بالإضافة إلى عناصر المشاة ، لكن قوات الفرقة 16 مشاة واصلت سحق هذه المحاولات وكبَّدت الإسرائيلين الـ مزيد من الخسائر في المعدات والأفراد . وتقدَّم أبطال الفرقة 16 مشاة فاستعادوا النقطة 57 " الحيوية بعد قتال عنيف وتقدم رجالهم فاستعادوا رأس كوبري الفرقة إلى الوضع الذي كان عليه قبل تعرُّضه للهجمات المضادة ، وهكذا نجحت الفرقة 16 مشاة في تحقيق النصر في واحدتين من أشد وأشرس معارك الدبابات ، وهم معركتي "الطالية" و"النقطة 57" .



رأس كوبري إحدى الفرق المصرية

معركة الدبابات :

ودارت معارك الدبابات شديدة طاحنة ، ودفع بأعداد هائلة من الدبابات من كلا الجانبين بلغ عددها 3000 دبابة ومدرعة حتى وصفها الخبراء العسكريون بأنها لا تقل عن معركتي "العلمين" و"ستالينجراد" ومن يدرس هاتين المعركتين يعرف أن معركة الدبابات في سيناء كانت أقوى وأشد ، وقد بلغت هذه المعركة ذروتها في اليوم الرابع عشر من أكتوبر مع قيام قيام الجسر الجوي الأمريكي بتزويد الجيش الإسرائيلي بعدد كبير من الدابابات والطائرات حتى أصبحنا وكأننا نقاتل الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية الأولى في العالم ، وقامت قواتنا المسلحة من المشاة

والمشاة الميكانيكية والمدفعية بجهودٍ خارقة ، وبلغت شجاعة المقاتل المصري مداها ..

تتقدم الدبابات المصرية لتقصف دبابات العدو فإذا لم تستطع إصابتها تقدَّمت إليها لتطحنها وتعوق تقدمها ، وقد منيت القوات الإسرائيلية بخسائر هائلة لدرجة تدمير لوائين مدرعين للعدو بالكامل وأسر قائد إحداهما ..

لقد اشتعلت حرب الدبابات في قلب سيناء اعتبارا من يوم 14 أكتوبر حيث قررت القيادة المصرية تطوير الهجوم تحقيقًا لعدة أهداف ، منها :



حطام دبابة إسرائيلية تحطمت في معارك الدبابات الشهيرة

1. **الحصول على مزيدٍ من الأرض في سيناء .**

2. **تخفيف ضغط القوات الإسرائيلية على الجبهة السورية .**

3. **بقاء القوات المصرية في وضع الدفاع فقط سوف يتيح للعدو المزيد من محاولات الاختراق خاصة وأن العدو لديه شريطًا قتاليا يبعد عن القوات المصرية في سيناء 15 كم ويمتد بطول الجبهة من الشمال إلى الجنوب ويستطيع من مواقعه في هذا الشريط أن يركز هجماته من أكثر من موضع ، لذلك كان ضروريا أن تتقدم القوات المصرية وتحتل هذا الشريط وتدفع الإسرائيلين للخلف إلى شريط المضايق .**

وقد اعتمدت القيادة المصرية في قرارها بتطوير الهجوم على تزايد القوات المصرية في الشرق وثباتها وانتقال بعض قوات الدفاع الجوي إلى الشرق مع استعداد الطيران المصري للقيام بالمزيد من الواجبات الهجومية ، وبدأ تطوير الهجوم فعلاً في صباح ذلك اليوم (1973/10/14م) حيث أصدر الرئيس السادات أوامره المباشرة بتطوير الهجوم شرقًا نحو المضايق .

حقيقة الثغرة :

ورغم تحذيرات القادة العسكريين وخاصة الفريق سعد الشاذلي الذي حذّر من خطر خروج القوات المصرية عن مظلة الدفاع الجوي المصرية ؛ لأنها سوف تصبح هدفًا سهلاً للطيران الإسرائيلي ، وبالفعل تحركت الفرقتان : الفرقة الرابعة مدرعة بالجيش الثالث الميداني تحت قيادة العميد / محمد عبد العزيز قابيل ، والفرقة 21 المدرعة بالجيش الثاني الميداني تحت قيادة العميد / إبراهيم العرابي اللذان تم سحبهما نحو المضايق ، وكانت هاتان الفرقتان موكلاً إليهما تأمين مؤخرة الجيش المصري من ناحية الضفة الغربية للقناة وصد الهجوم عنها إذا ما حدث اختراق إسرائيل للأنساق الأولى ، واستطاعت القوات الإسرائيلية استغلال نقطة "الدفرسوار"لاختراق صفوف الجيش المصري ما بين الجيشين الثاني والثالث في الإسماعيلية .. ومن المعروف استراتيجيا وتعبويا أن أضعف نقطة في أي دفاع هي نقطة الاتصال بين القوات ، ولذلك يهتم القادة عادة بتأمينها بالقوات وبالنيران وبالمناورة وؤالاحتياطيات ، وما من شك أن القيادة المصرية اهتمت اهتماما بالغًا بنقطة الاتصال بين الجيشين الثاني والثالث ، ووضعت خططًا لتأمينها في مواجهة جميع الاحتمالات .

ويمكن لأي رجل عسكري عادي أن يدرك بسهولة أن البحيرات العظمى . التي تمثل مانعا طبيعيا ضد أي عمليات لعبور بقواتٍ كبيرةٍ . تعتبر أيضًا عنصر تأمين لجانب أي قوات تتسلل شمالاً بحذائها مرتكزة بجانبها الأيسر على هذه البحيرات ، كما أن منطقة "الدفرسوار" التي تقع غرب هذه البحيرات تتميز بما يلي :

- **بها أشجار كبيرة منتشرة تساعد على الاختفاء .**
- **منطقة مزروعة تصعب فيها الهجمات المضادة .**
- **توجد خلفها منطقة صحراوية تصلح لعمل الدبابات بحرية وكفاءة .**
- **يمكن أن ترتكز القوة المتسللة في البحيرات العظمى وبذلك يتحقق لها تأمين من أحد أجنابها كما أن البحيرات يمكن استخدامها في أعمال الإبرار البحري والإمداد .**

وعلى ما يبدو أن المستشارين الأمريكيين أشاروا على القوة الإسرائيلية باختبار هذه المنطقة لعمل مغامرة تليفزيونية تحفظ لهم ماء وجوههم ويحاولوا المساومة عليها فيما بعد ، فقد قامت طائرة الاستطلاع الأمريكية (آي . إس . 71) يوم 13 أكتوبر 1973م بعملية مسح تجسسي على الجبهة المصرية كلها فقامت بمسح منطقتي الدلتا والقناة حيث كانت تحلق على ارتفاع كبير يصل إلى 30 كم وبسرعة تصل إلى ثلاثة أضعاف سرعة الصوت ،

لذا لم تستطع قوات الدفاع الـ جوي اسقاطها ، وقامت بتسليم نتائج هذه العملية الاستطلاعية إلى القيادة الإسرائيلية مما ترتب عليه عملية الاختراق في الثغرة .. وكان لدى القيادة المصرية وثائق دامغة تؤكد أن الإسرائيلين لم يقوموا بعمليتهم (الثغرة) إلا بعد أن درسوا كل الخرائط التي قدمت لهم عن وضع الجبهة المصرية فقد حصلت مجموعة من رجال الصاعقة المصريين على هذه الوثائق والخرائط بعد هجوم جرئ على مدرعات العدو الإسرائيلي في منطقة الثغرة وجدوها داخل إحدى هذه المدرعات التي فرَّ طاقمها أمام هجومهم .. وقد اعترف المسئولون الأمريكيون أنهم صمموا على تعديل الوضع في جبهة القتال وتقليل حجم الهزيمة فسبقت عمليات استطلاعهم الجوي للجبهة المصرية إمدادت لم يشهد التاريخ مثلها تدفقت من خلالها الأسلحة على إسرائيل ، بل أن أعداداً من الطيارين والفنيين قد وصلوا إلى إسرائيل لتدعيمها .. كما كانت المساعدة الأمريكية لإسرائـ يل على المستوى الدبلوماسي هو إصدار قرار وقف إطلاق النار الذي كان في حقيقته إشارة لهم بالبدء في هذه العمليـة (الثغرة) اطمئناناً منهم بأن هذا القرار سيوقف تقدم الجيشين الثاني والثالث المصريين في اتجاه الشرق مما قد يتيح لهم الفرصة لاستخدام قوة كبيرة إذا تسللت ناحية الغرب تستطيع أن تستغل توقف القوات المصرية عن المقاومة . ويقول "كسينجر" وزير الخارجية الأمريكية في زيارة له لمصر بعد حرب أكتوبر 73 ،

قال : " إن أمريكا تحققت من عبور الفرقة 21 المدرعة المصرية من غرب القناة إلى شرقها استعداداً لتطوير الهجوم في اتجاه المضايق ، وكان ذلك يعني استنتاج نوايا الجيش المصري بالهجوم في وقتٍ مبكر ، وبتحقيق ذلك قامت إسرائيل بتطوير هجومها على أساسه .. " ومما يؤكد حدوث تواطؤ من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إسرائيل وجود ذلك البطء المتعمد من جانب الإدارة الأمريكية في تدخلها للتوصل إلى قرار وقف إطلاق النار وهو ماكانت تلح عليه وتسعى إليه منذ بداية المعركة حيث رأت أمريكا أنه لا داعي للعجلة بعد أن بدأت إسرائيل تأخذ بزمام المبادأة .

ولم تكن فكرة الثغرة حديثة أو وليدة حرب أكتوبر 73 ، فقد فكَّرت القيادة الإسرائيلية فيها من قبل عام 1970 م في أعقاب حرب الاستنزاف جرَّب الاستنزاف وذلك لتدمير شبكة الصواريخ المصرية ، وقد شارك في التخطيط والإعداد لهذه العملية التي أعقبت حرب الاستنزاف الجنرال "أرييل شارون" الذي قادها مرة أخرى في عام 1973م واختار لها اسم "القلب الشجاع" وكانت هذه الخطة معروفة ومنشورة في كافة التحليلات العسكرية قبل الحرب . ويقول الجنرال "شارون" : " لقد كان المصريون يتوقعون في خططهم احتمال عبورنا لقناة السويس من الشرق إلى الغرب ،

ولقد وقع ضباط المخابرات المصري في منطقة العبور في "الدفرسوار" أسيراً في يد قواتي وقد عثرنا معه على خريطة تحدد بالضبط مكان عبورنا المحتمل وخطتنا بعد العبور مع اختلافٍ واحد هو أن المصريين توقعوا أننا سنستخدم دبابات برمائية ، وهذا ما كنا سنفعله بالضبط لكنها لم تصل في الميعاد مما اضطرنا للتصرف واستخدام الهليكوبتر لنقل بعض طلاءع العبور لتأمين رأس الجسر ثم استخدمنا أطوافًا عائمة " . وكانت القوة الموضوعة تحت قيادة شارون تضم لوائين مدرعين ولواء واحد من المشاة الميكانيكي ومجموعة من قوات الكوماندوز ، وكان قد عُقِدَ مؤتمر في المركز المتقدم



اجتماع للقيادة الإسرائيلية إبان حرب 73

للقيادة الجنوبية يوم الخميس 11 أكتوبر برئاسة الجنرال "حاييم بارليف" حيث اختيرت منطقة "الدفرسوار" لتكون مكاناً للعبور ، إلا أن تنفيذ الخطة تأخر بسبب الخلاف الذي دبَّ بين القادة العسكريين في تل أبيب وتردد وزير الدفاع الإسرائيلي "موشى ديان" خاصة مع وجود فرقتين مدرعتين مصريتين وفرقتين مشاة ميكانيكيتين ومجموعات صاعقة بالإضافة إلى نحو 400 دبابة تتمركز كلها غرب القناة ، وفي يوم السبت 12 أكتوبر صدرت الأوامر بتجميع جميع معدات العبور الموجوة في القطاع الأوسط من سيناء الذي يتولى قيادته "شارون" وكلف المهندسين بتركيب أجزاء الجسر عند منقطة العبور ، وعلى أثر توقف القوات المصرية في تطوير الهجوم ناحية الشرق يوم الأحد 14 أكتوبر ، أصدر "دافيد أليعازر" رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي أوامره إلى القيادة الجنوبية بالاستعداد للعبور إلى الضفة الغربية ، وقام بنفسه بالحصول على تصديق مجلس الوزراء على قرار العبور ، وبلغت الصعاب والمشكلات إلى الحد الذي جعل القادة الإسرائيليين في مساء 16 أكتوبر يفكرون في إلغاء العملية بأسرها وإصدار أوامرهم بعودة قوات المظلات والمدرعات التي عبرت بالعودة ثانية إلى الضفة الشرقية ،

وكانت القوات الإسرائيلية المخصصة لقتحام الثغرة تتألف من ثلاث فرق مدرعة هي : فرقة "أريل شارون" ، وفرقة "أبراهام أدان" ، وفرقة "كلمان ماجان" وكانت هذه الفرق الثلاث تضم 7 ألوية مدرعة كالتالي : ثلاثة ألوية في فرقة "أ دان" ، ولواءين في فرقة "شارون" ، ومثلهما في فرقة "ماجان" ، علاوة على لواءين مشاة مظلات بفرقة "شارون" ، ولواء مشاة ميكانيكي ملحق بفرقة "ماجانط ، وكان تخطيط الهجوم الإسرائيلي كالتالي :

1. تشن القوات المتسللة هجمات مضادة بكل ما لديها من إمكانيات ضد الجانب الأيمن للجيش الثاني الميداني من أجل زحزحة الجانب الأيمن للفرقة 16 مشاة شمالاً لبضع كيلومترات لتأمين منطقة العبور المختارة في "الدفرسوار" .
2. توجيه هجمات مضاة أخرى في قطاعات أخرى لجذب انتباه القوات المصرية بعيا عن منطقة الثغرة .
3. القيام بعملية إبرار بحري في بورسعيد لجذب انتباه القيادة المصرية إلى بورسعيد بعيدا عن البحيرات .

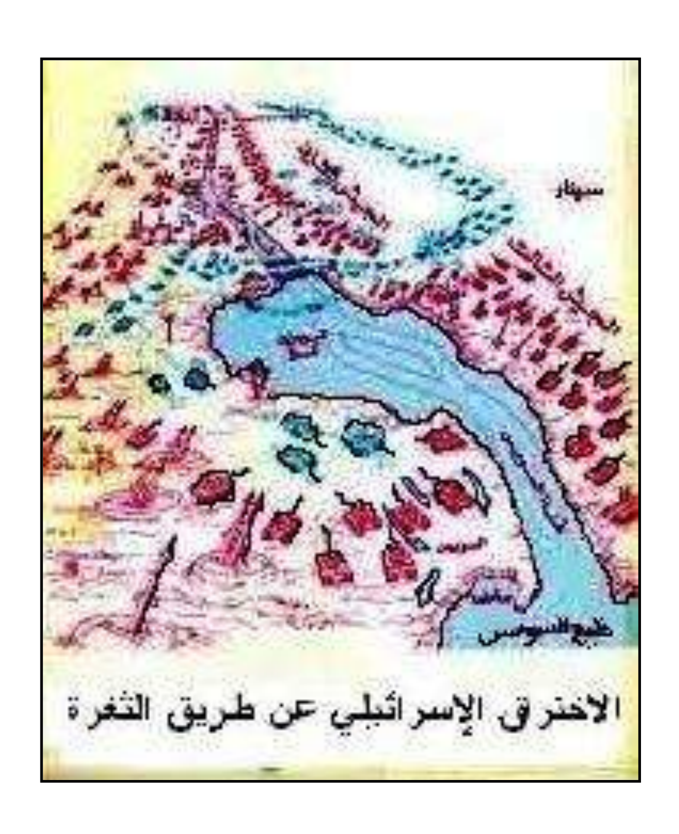
وبناء على ذلك يمكن تصور فكرة عملية الثغرة (التي سميت الغزالة) فيما يلي :

توجيه هجمة بقوة تصل إلى إلى 3 لواءات مدرعة ولواء مشاة ميكانيكي أو ضربة مضادة ذات شعبتين على الجانب اليمن للجيش الثاني ضد الفرقة 16 مشاة بهدف زحزحة الحد الأمامي إلى ماخلف تقاطع الطرق شرق "الدفرسوار" ، ثم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار يتم فع قوة من المظليين أو المشاة تعبر بالقوارب عبر القناة والبحيرات المرة لتستولي على رأس كوبري صغير في منطقة "الدفرسوار" يتم تدعيمه فورا ببعض الدبابات البرمائية وإبراره جوا بالهليكوبتر ثم يتم دفع عناصر من المهندسين العسكريين إنشاء معبر ثقيل في منطقة "الدفرسوار" ويمكن بذلك دفع لواء مدرع يتسلل بحذاء البحيرات ثم يعبر إلى منطقة "الدفرسوار" بسرعة وينتشر على شكل مفارز من سرايا مدرعة مدعَّمة بالمشاة الميكانيكية تقوم بالهجوم على بعض قواعد الدفاع الجوي المصري القريبة لتدميرها وخلق حرية عمل للقوات الجوية الإسرائيلية وبمجرد صدور قرار وقف إطلاق النار وقبول مصر له تتسلل هذه القوات لتوسع رأس الكوبري مع دفع قوات جديدة لتدعيمه .. وكانت مهمة "شارون" قائد مجموعة العمليات (143) تنحصر في إقامة وتأمين رأس كوبري (منطقة عبور) عن نقطة "الدفرسوار" على قناة السويس ليلة 15 ، 16 أكتوبر تمهيدا لعبور فرقة إسرائيلية تحت قيادة الجنرال "أبراهام أدان" (برن) صباح يوم 16 أكتوبر ،

وكادت هذه الخطة أن تُصاب بالفشل بسبب تأخر وصول معدات العبور وبسالة القوات المصرية المدافعة التي حالت دون السيطرة التامة على رأس المعبر ، وكانت خطة القوات الإسرائيلية تعتمد على الطيران الإسرائيلي أن يُحْدِثَ هذا بالفعل اعتباراً من الساعة الخامسة من صباح يوم 15 أكتوبر حيث هاجمت الطائرات الإسرائيلية منطقة تمركز الجيش الثاني الميداني واستمرت حتى الغروب ، وفي نفس الوقت عبرت القوات افسرائيلية تحت تمويه هذا القصف الجوي المركز حيث تسللت في العاشرة والنصف مساء سبع دبابات إسرائيلية من الدبابات المصرية التي استولى عليها الإسرائيليون في حرب 67 إلى غرب القناة في منطقة نلتقى القناة بالبحيرات .. في حين أن العبور الرئيس للقوات الإسرائيلية إلى الضفة الغربية فشل ثلاث مرات متتالية وكان تحت قيادة العقيد "ماجان" (أمنون) نتيجة لبسالة القوات المصرية التي ألحقت بالقوات الإسرائيلية خسائر فادحة في الأرواح والمعدات ، واقترح عندئذٍ وزير الدفاع الإسرائيلي سحب القوات الإسرائيلية فورا ، وإلغاء العملية قائلاً بالحرف الواحد : " المصريون سوف يذبحون قواتنا على الشاطئ الآخر " ، لكن اقتراحه قُوبل في غرفة العمليات الإسرائيلية ، وتسللت الدبابات السبع غرب القناة .. وكان خطأ القيادة المصرية هو عدم إبلاغ القياة العامة بهذا التسلل إلا في صباح يوم 16 أكتوبر على أساس أنه تسلل محدود جدَا ويمكن بسهولة القضاء عليه ،

وكان أول بلاغ يصل إلى القيادة المصرية في العاشرة من صباح يوم 16 أكتوبر عن وجود قوات إسرائيلية غرب القناة عددها 5 دبابات برمائية في منطقة "الدفرسوار" ، وبعد نصف ساعة وجَّهت قيادة الجيش الثاني سرية مشاة ميكانيكي مدعَّمة بفصيلة دبابات إلى "الدفرسوار" لتدمير قوة العدو غير أنها لم تستطع أن تنجز مهمتها لانقطاع صلتها بالقيادة ، وقبيل حلول الظهر نفذت القوات الإسرائيلية هجوما تجاه الغرب فأصدر قائد الجيش الثاني أمره بتدمير القوات الإسرائيلية المتجهة للغرب ، لكن القوات المصرية التي كُلِّفت بهذه المهمة سقطت في كمين محكم واستشهد قائدها العقيد أركان حرب / حسين رضوان ، كما دمرت 15 عربة مدرعة مصرية ومعظم الدبابات ومدافع الاقتحام .. وحدث تخبط في نقل الحقائق ففي حين كانت تشير وحدات الاستطلاع إلى وجود 5 دبابات إسرائيلية غرب القناة ازداد التسلل الإسرائيلي في منطقة "الدفرسوار" حتى وصل عدد البابات الإسرائيلية إلى 30 دبابة ولواء مظلات إسرائيلي كامل ، فقد ثبت أن الرئيس السادات ذهب إلى مجلس الشعب يوم 16 أكتوبر وألقى خطبته الشهيرة التي أعلن فيها شروط مصر لوقف إطلاق النار دون أن تبلغه أية أنباء عن وجود أية وحدات إسرائيلية غرب القناة ، كما أن المشير / أحمد إسماعيل وزير الحربية أكَّد كذلك عقب الحرب أنه لم تصله أية معلومات عن عبور قوات للعدو إلى الغرب إلا بعد عودته من مجلس الشعب يوم 16 أكتوبر

وكانت هذه الأنباء عن تسلل عدد قليل من الدبابات البرمائية الإسرائيلية إلى الغرب وجاري التعامل معها .. كما أن إبلاغ القائد المحلي لم يكن مستقرا محدداَ لأن الدبابات المتسللة زادت إلى 30 دبابة أخذت تنتشر في جميع الاتجاهات مستغلة طبيعة الأرض في هذه المنطقة ووجهت القيادة المصرية العامة الأوامر بتصدي أحد الألوية المصرية لها في الغرب في المنطقة الجبلية مستفيدة بالحماية الطبيعية لها ، وقد فشل العدو في ضرب قواعد الصواريخ في الغرب باستثناء قاعدتين فقط ولم يكن ذلك ي شكّل خطورة كبيرة .. وكان العقيد (آمنون) قاد بنفسه في صباح هذا اليوم الهجوم الرابع على منطقة تقاطع الطرق الاستراتيجية لتأمين عبور قواته ولاقى طوال الليل بسالة شديدة من القوات المصرية ودار قتالاً طاحنًا بها ، وبينما كان يتقدم بقواته كان موقفه غاية في السوء إذ لم تبقَ له سوى 27 دبابة فقط وخسر أعداداَ هائلة من الأفراد والمعدات ، وجاءت قوات دعم إسرائيلية أخرى لكنها منيت بخسائر فادحة على أيدي المدفعية المصرية .. واستمرت جهود كبيرة لحصار الثغرة في أضيق مساحة ، وفي يوم 17 أكتوبر بدأت عملية إغلاق الثغرة من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو وحتى تقع في المصيدة ، فتقدَّمت قواتٌ من الجيش الثاني جنوبا ، وتقدَّمت قواتٌ من الجيش الثالث شمالاً إلى أن وصلت المسافة بينهما إلى أربعة كيلومترات فقط لكنهما لم يكملا الالتقاء ولم يحكما عملية القفل ؛ لأن إسرائيل كانت قد وضعت فيها كل إمكانياتها من الأفراد والمعدات التي كانت تتدفق إليها من أمريكا لدرجة أن بعض هذه الدبابات لم تقطع سوى المسافة بين مطار العريش وميدان المعركة ، كما أن معظم الطائرات لم تكن تحمل



الاختراق الإسرائيلي عن طريق الثغرة

العلامة الإسرائيلية بل لم يكن طياروها جميعهم من الإسرائيليين .. وهكذا استطاعوا النفاذ بأعداد أخرى إلى الغرب ، وكان القتال رهيباً استمر من يوم 17 أكتوبر إلى يوم 20 أكتوبر ، وقد تحرگت القوات المصرية في الغرب فأوقفت انتشار القوات الإسرائيلية في اتجاه الإسماعيلية وحصرتها في المنطقة التي انتشرت فيها جنوباً .. واستغل الإسرائيليون قرار وقف إطلاق النار لتوسيع منطقة الثغرة وتدعيم قواتها بها ، وقد خسرت إسرائيل فيها خسارة فادحة ، وقد أعدَّت مصر خطة لإبادة القوات الإسرائيلية المتسللة وتصفيتها نهائيا ، لكن الاستطلاع الأمريكي أنقذ إسرائيل وأشار إليها بضرورة سحب قواتها وقبول الاتفاق فسارعت بقبوله ..

وأبرز ما كُتب عن الثغرة كتاب وضعه ستة من محرري "صانداي تايمز" ذكر فيها : " كانت فكرة شارون تتلخص في استخدام أحد لواءاته في جذب انتباه المصريين بعيداً في الوقت الذي يقوم فيه لواء آخر بالسيطرة على الطريق المتجه جنوبا من "الطاسة" إلى البحيرات المرة العظمي هذا الطريق يتصل بطريق القتال الرئيس الذي يقع على مسافة بضعة آلاف من الياردات عن الوصلات التي تؤدي إلى نقطة العبور المختارة وتعرف منطقة هذه الوصلات باسم المزرعة الصينية لأنه قبل حرب 67 بمدة كان الخبراء الصينيون يجرون بعض التجارب الزراعية فيها ، وكان "شارون" إذا تمكّن من السيطرة على هذا الطريق وهذه الوصلات سيكون في مقدوره دفع المهندسين العسكريين والمعابر المتحركة والمظليين لتأمين المعبر ومعهم لواء مدرع جديد ليعبر ويقاتل على الـ ضفة الأخرى ، وبعد أن ينجح المهندسون في إمرار عددٍ من الدبابات على المعديات يقومون بإنشاء كوبري على القناة . وكان التوقيت الذي حُدّد للعملية هو غسق يوم الاثنين ، وكان المفروض أن تعبر أولى عناصر المظلات قناة السويس في قوارب من المطاط في الساعة 11 مساء وهذا يعني أن القوة المدرعة خمس ساعات لتقطع فيها مسافة 25 ميلاً خلف خطوط الجيش المصري وتقاتل قتالاً ليليا ثم تتصل بالمهندسين وتقودهم بالمظليين عبر المعبر ، وكان جزء كبير من الطريق يمر بكثبان رملية ويندر أن تتمكن الدبابات المتحركة ليلاً من التحرك بسرعة تزيد عن خمسة أميال في الساعة ، وفي الخامسة مساء قام لواء مدرع إسرائيلي متمركز شمال طريق (الطاسة . البحيرات) بتوجيه هجوم مضاد في اتجاه الغرب (في اتجاه الإسماعيلية)

وكان هجوما خداعيا قوبل بمقاومة عنيفة من القوة الرئيسة للفرقة 21 المدرعة المصرية . وفي الـ سادسة مساء تحرك اللواء الإسرائيلي الثاني في جنح الظلام غربا تجاه البحيرات وعندما وصل إلى الطريق اتجه شمالاً محتميا بالبحيرات من الجانب الأيسر وتم تقسيم القوات الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام :

1. القسم الأول : (لواء مدرع) يندفع في اتجاه الشمال الشرقي ليبعد القوات المصرية عن الطريق الأسفلتي .
2. القسم الثاني : يندفع شمالاً ليدفع قوات الفرقة 16 مشاة ويزحزحها شمالاً .
3. القسم الثالث : ينفع في اتجاه مكان العبور المخطط له ليكون القوة الرئيسة لتنفيذ المهمة .

لكن الهجمات الإسرائيلية قوبلت بمقاومة عنيفة من الجيش المصري ، وكان معنى ذلك أن تقاطع الطرق لم تكن مؤمنة التأمين الكافي أمام القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وأصبحت توقيتات العملية مختلفة بشكل خطير ، وفي منتصف الليل أمكن للقوة المهاجمة الاتصال بالمظليين الذين استولوا على النقطتين القويتين بالدفرسوار شرق ، وفي الساعة الواحدة صباحًا يوم 16 أكتوبر تمكنت مجموعة من 200 مظلِّي العبور إلى "الدفرسوار" غرب ،

وكانت المدفعية المصرية تقصف بعنف خلف هذه القوة في منطقة الوصلات المؤدية إلى مكان العبور المخصص للهجوم الإسرائيلي ، وتعرَّضت قوة المظلات لهجوم مضاد من المشاة المصريين ، كما دارت معركة عنيفة بالدبابات شمال وشمال شرق التقاطع ، ولم تتحقق أهداف العملية فحتى الفجر لم يكن الكوبري قد أُنشئ بعد ، بل لم تتمكن القوات الإسرائيلية من تأمين وصلات الطرق المؤدية إلى المعبر .. وفي ليلة 16 أكتوبر شنَّ المصريون هجوما مضاداً ودارت معركة عنيفة في المزرعة الصينية كاد أن يقضي على قوة العبور الإسرائيلية ويقطع رأس الجسر الإسرائيلي عن باقي القوات ولم ينقذ الموقف الإسرائيلي إلا وصول قوات مدرعة إسرائيلية جديدة بقياة "برن" وتمكن جزء منها من العـ بور وتأمين رأس الكوبري في "الدفرسوار" ، ومع أول ضوء بدأت المدفعية تقصف الوصلات ورأس الشاطئ فأحالت المنطقة جحيما ، وعلى الشاطئ الشرقي كان اللواءان المدرعان الإسرائيليان اللذان بدأا العملية يوم الاثنين ما زالا يقاتلان معركة غاية في الشراسة . وبكل المقاييس ا لعسكرية المعروفة يمكن القول أن محاولة "شارون" لإنشاء رأس كوبري كانت مخاطرة غير موفقة فمع أنه بدأ هجومه بما يساوي فرقة مدرعة إلا أنه بعد قتال 16 ساعة لم يتمكن إلا من إمرار كتيبة مدعومة بعددٍ من الدبابات المحددة ولم يكن هناك كوبري قد أُنشئ ونتيجة لقصف المدفعـ ية المصرية فشل عدة مرات في إنشاء الكوبري الذي تأخر إنشاؤه أكثر من 12 ساعة .

ويقول الفريق الجمسي رئيس عمليات القوات المسلحة في حرب 73 : " ورأت القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلي وإنما يجب أن يعالج الأمر على مستوى القيادة العامة ، فالهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطياتنا في الغرب لم تنجح .. فالهجمات كانت ضعيفة ، وقررت القيادة العامة المصرية عدم استخامها لقوات صغيرة ، وصدر الأمر باستخدام لواء بالكامل لتدمير العدو وتم حشد نيران المدفعية ضد العو في منطقة التسلل ، وهاجم الطيران المصر ي ابتداء من الصباح لكن المقاومة المصرية لم تنج لأن دبابات العدو الثلاثين كانت التي تسربت إلى المنطقة قد تفرقت في المنطقة الصحراوية الجبلية في عدة اتجاهات في منطقة ذات حماية طبيعية ولم يكن من السهل تدميرها في هذه الظروف وقاتلت القوات المصرية المصرية قتالاً باسلاً واستشهد قائد لواء وقائد فرقة وقائد كتيبة في الهجوم الذي حدث يوم 17 أكتوبر " .

وعلى الرغم من نجاح العدو في تدمير موقعين للصواريخ فقط حتى مساء يوم 6 أكتوبر إلا أن الموقف على الجبهة المصرية لم يكن خطيرا فلقد استمرت المدفعية المصرية تصبُّ حممها على العدو المتسلل طوال ليلة 16 ، 17 أكتوبر لدرجة لم تشهدها أية معارك في الشرق الأوسط حتى في الصراع الألماني في شمال إفريقيا . ويصف كتاب "عيد الغفران" الموقف فيقول : " ..

وفي يوم الثلاثاء 16 أكتوبر كانت المعركة ما تزال مستمرة منيت فيها قوات العدو المدرعة بخسائر فادحة ، فقرروا اللجوء لوحدات المشاة والمظليين لمكافحة الأسلحة المصرية المضادة للدبابات ، وبينما كانت مدرعات "شارون" تعمل على توسيع رأس الجسر كانت فرقة المدرعات برئاسة "برن" تواصل تقدمها نحو نقطة العبور ولم يكن ذلك رأس جسر بالمعنى المعروف ، وذلك لأن محاور الحركة لم تكن قد أُعت بصورة كاملة ، وكان المحور الشمالي في متناول الدبابات المصرية ، أما المحور الجنوبي فكان يتعرض لقصف مدفعي متصل من جانب المصريين . ولم يستطع "برن" أن يعبر القناة بسرعة لأن المصريين شنُّوا هجوما مضاداً كاد يسحق رأس الجسر الذي أقامته وحدات المظلات على الجانب الآخر ، وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطئ الغربي تعرضنا لقصف مدفعي لم نشهد له مثيلاً في حياتنا ، فلقد وجَّه المصريون نحو رأس الجسر بقوة النيران التي كانت متاحة لهم في القطاع " ، ويقول الكتاب : " .. وعندما وصلنا إلى الجسر أدركت أنها مذبحة فلقد شاهدتَ عشرات من رجالنا مبعثرين قتلى .. " ، ومن هذه العبارات يتضح مدى ما تعرَّض له العدو الإسرائيلي من ضرب خلال إنشائه للجسر ، وقد التقطت قواتنا 100 محادثة بين القائد الإسرائيلي والقيادة العليا يطلب فيها إلغاء العملية لجسامة الخسائر التي تكبَّدها ، وترد القيادة العليا ترجوه الثبات وتقول له إن مستقبل إسرائيل متوقف على نجاح هذه المغامرة .

ويقول الفريق الجمسي في حديثه عن الثغرة : " كانت خطة القيادة العامة تتلخص في حصار الثغرة في أضيق مساحة من الأرض في الغرب وسرعة تدميرها ، وفي الوقت نفسه قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو ، وتقرر أن يقوم الجيش الثاني جنوبا والجيش الثالث شمالاً لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو في المصيدة ، وتقدم الجيش الثالث شمالاً ، والجيش الثاني جنوبا حتى بلغت المسافة بينهما 4 كم فقط ولكنهما لم يتمكنا من الالتقاء واستمات العدو لتأمين مرور قواته شمالاً وجنوبا ، وكان القتال رهيبا استُخدمت فيه جميع أنواع الأسلحة ، واستطاعت قواته يوم 17 أكتوبر أن تنفذ بأعداد أكبر إلى الغرب ، فقد حاول العدو أن ينتشر في اتجاه الشمال لكن الجيش الثاني نجح في منعه من الاقتراب من الإسماعيلية وأوقف تقدم العدو الإسرائيلي وعدَّل من أوضاع قواته بما يحقق تحديد انتشار العدو وإيقاف تقدمه ، وعندئذٍ فكر العدو في الانتشار جنوبا ، وهنا دفع الجيش الثالث باحتياطياته لإيقاف تقم العدو ، فشل العدو في تطوير هجومه واستمر القتال شديداً في الفترة من 17 إلى 20 أكتوبر تكبَّد العدو فيها خسائر لم يخسرها في الحرب كلها ، وعندما أُعلن وقف إطلاق النار في 22 أكتوبر استغل العدو الفرصة فتسلل ببعض مفارزه المدرعة الصغيرة ووصل إلى طريق (القاهرة ـ السويس) وقطع طريق الإمداد والتموين عن فرقتين من الجيش الثاني الميداني ،

وتمكنت القيادة المصرية من تعديل أوضاع قواتها ودفع احتياطياتها بالشكل الذي أحاط بقوات العدو الإسرائيلي وبدأت تعد العدة لتدميرها ووضعت لذلك خطة أعلن عنها الفريق الجمسي باسم "الخطة الشاملة" ، وبعد ذلك بدأت معركة جديدة استمرت حتى توقيع معاهدة الفصل بين القوات ، وكانت هذه المعركة استنزافاً دمويا للعدو الإسرائيلي الذي يئن تحت وطأة الضربات النيرانية للمدفعية المصرية والدبابات ، وبدأت المحادثات عند الكيلو 101 بهدف إنقاذ الموقف من التدهور في الشرق الأوسط ، وخلال هذه المفاوضات لم يتوقف القتال ، وفي النهاية قبلت إسرائيل سحب قواتها من الضفة الغربية وبقاء رؤوس الكباري المصرية كما هي وتم الفصل بين القوات .. وكانت نتيجة هذه المغامرة الفشل وذلك باعتراف الإسرائيليين أنفسهم ، فقد صرَّح الجنرال "حاييم بارليف" في صحيفة "عل همشمار" بتاريخ 16 / 11 / 1973م : " إن عملية الدفرسوار كانت مغامرة انتحارية .. لقد كان بإمكان المصريين القضاء على قواتنا في ساعات وتكبيدنا آلاف القتلى لولا أن احترامهم لوقف إطلاق النار جاء رحمةً بجنودنا وضباطنا .. فلماذا يتبجح شارون ؟! " ، وقال الجنرال "موردخاي جور" رئيس الأركان الإسرائيلي الذي جاء بعد حرب 73 في اجتماع هيئة الأركان في 8 / 6 / 1974م : " إن ثغرة شارون ليست نصراً عسكرياً . إنها أشبه بحقنة أنسولين لمريض السكر الذي تحول السكر في دمه إلى باولينا .. " .

إنه مما لا شك فيه أن الثغرة قد أخذت تغطية إعلامية واسعة النطاق من كافة أجهزة الإعلام الغربية التي يسيطر على أغلبها اليهود ، وقد ساهم في تفاقم الوضع بها الظروف السيئة التي حثت على الجانب المصري من التخبط في اتخاذ القرارات وعدم وضع المعلومات الواردة بشأنها ولولا ذلك لأمكن القضاء على القوات الإسرائيلية بمنتهى السهولة .. وقد حلل هذه الثغرة أحد كبار الضباط المصريين فقال : " حينما نحلل نتائج أية عملية عسكرية لابد أن نضع في اعتبارنا أهداف العملية وحجم الخسائر التي تعرضت لها القوات القائمة بها والنتائج التي حققتها .. ونحن إذا نظرنا إلى الثغرة من هذه الزوايا لوجدنا أن الهدف الأساسي منها كان تطويق الجيش المصري ، فماذا تحقق من ذلك ؟

1. فشلت عملية التمدد في اتجاه الإسماعيلية بعد تصدي القوات المصرية لها وتدميرها .
2. حتى يوم 22 أكتوبر كان وضع القوات الإسرائيلية في الغرب لا تصفه إلا كلمة واحدة وهي أنها كانت محشورة أو موجوة في فم التمساح .
3. حتى يوم 22 أكتوبر واستغلال قوات الثغرة لقرار وقف إطلاق النار .. هل تمكنت من تطويق الجيش الثالث ؟ ويجيب على هذا السؤال شارون نفسه بعد فترة .. قال أن الجيش المصري الثالث لم يكن يعاني نقصا في الذخيرة أو الإمداد .. "

. كذلك نضيف بيانات القيادة الإسرائيلية إلى هذه الإجابة حين كانت تتوجه بالشكوى إلى قوات الطوارئ الدولية ضد الجيش الثالث الذي يحسن تمركزه .. وهكذا تحوَّل هدف القوات الإسرائيلية من محاصرة الجيش المصري إلى مجرد الدفاع عن نفسها أمام هجمات القوات المصرية جواَ وبراَ .. لقد واجهت قوات شارون متاعباَ وأهوالاً رهيبة حتى أنه هو أو أحد رجاله أرسل بالفعل إشارة إلى القيادة العامة لهم بأن خسائرهم فوق الاحتمال وأن وقف العملية كلها هي الحل لإيقاف حمام الدم الذي غرقت فيه القوات الإسرائيلية ..

لقد كانت الثغرة خطأً كبيراً ارتكبته القوات الإسرائيلية لما مثلته عليهم من خطرٍ شديد وذلك بسبب وجود عدد كبير من القوات في مساحة ضيقة من الأرض محاطة بموانع طبيعية ومدنية علاوة على بعد مناطق الإمداد والتموين وصعوبة إخلاء الجرحى ، وكان عدد القوات المصرية غرب القناة ضعف عدد القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وقد تعرضت تشكيلات العدو غرب القناة لحرب استنزاف انهكتها بشدة شنَّها عليهم الجيش المصري بداية من وقف إطلاق النار إلى أن استعادت الدفاعات المصرية توازنها وأعادت تمركزها ، لقد كادت القوات الإسرائيلية موقف حرج بسبب وجودها غرب القناة بدون غطاء جوي كما كانت القوات الإسرائيلية يوصلها بالقناة ممرّ ضيق يبلغ طوله 10 كم فقط مما مكَّن الجيش المصري من قطعه بسهولة لذا انقلب الوضع على القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وبعد أن كانت تريد أن تضع الجيش المصري في موقف صعب أصبحت رهينة لدى الجيش المصري .

وأهم أسباب القضاء على هذه الثغرة وتصفيتها هو بطولة رجالنا الذين قاوموا قوات العدو المهاجمة ببسالة واستماتة ، فبعد أن استطاع العدو أن يستغل تقدم مؤخرة الجيش الثاني لدعم وحدات الجيش الثالث الميداني بسبب تطور الهجوم في سيناء يوم 14 أكتوبر مما أدَّى إلى إخلاء مساحة طولها ميلين وعرضها ميل بين الجيشين الثاني والثالث وانتهز شارون الفرصة فاخترق الثغرة بسبع دبابات وثلاث مدرعات و250 فرداً من المشاة فهاجم وحدة الدفاع الجوي غرب القناة وأسر عدداً من الجنود المصريين بها وبذلك تم تعطيل مظلة الدفاع الجوي جزئياً في هذه المنطقة ، ونتيجة للتعامل السيئ مع الثغرة تدفقت القوات الإسرائيلية أكثر وانتشرت مستغلة طبيعة الأرض الجبلية في الاحتماء والتمويه .. وتقدَّمت قوات الثغرة تجاه الفرقة 16 مشاة فحشد العميد عبد رب النبي حافظ ميمنته من اللواء 16 مشاة ..

معركة المزرعة الصينية :

تقدَّمت القوات الإسرائيلية المتسللة عبر الثغرة لتهاجم الفرقة 16 مشاة بغرض زحزحتها من مكانها لتتيح لها حرية التحرك والمرور غرب القناة ، ولما علم العميد عبد رب النبي حافظ بالأمر حشد ميمنته اللواء 16 مشاة فالتقوا بالقوات الإسرائيلية في معركة عُرفت "بالمزرعة الصينية" .. فقد بدأ المظلِّيون الإسرائيليون تحركهم في الساعة الحادية عشر والنصف يوم 15 أكتوبر على طريق (أكافيش . طرطور) تتقدمهم كتيبة المقدم "إيزاك" وما إن تقدَّمت الكتيبة الإسرائيلية لتقطع ثلث الطريق وتصل لأضيق منطقة لا يزيد عرضها عن كيلومترين فُوجئت بسيل منهمر من نيران المدفعية انصبت عليها من موقع كتيبة اليسار في قطاع اللواء 16 مشاة ، ودارت معركة رهيبة تناثرت على أثرها الأشلاء ، ولقَّن الجنود المصريون اليهودَ درساً قاسياً لن ينسوه .. فما إن تقدَّمت القوة الإسرائيلية حتى تصدَّى لها قائد اللواء 16 مشاة العميد أركان حرب / عبد الحميد عبد السميع الذي قاتل بضراوة هو ورجاله وكان أبرزهم المقدم أ . ح . / حسين طنطاوي قائد الكتيبة 16 مشاة ، والمقدم / أحمد إسماعيل قائد الكتيبة 18 مشاة والعقيد / علي هلال قائد الكتيبة 17 مشاة ،



المشير / محمد حسين طنطاوي

ودار قتالٌ عنيف استبسل فيه رجالنا ولقّنوا العدو درسا لن ينسوه حتى أن الأوامر عندما صدرت لقوة المظلات الإسرائيلية المهاجمة بالانسحاب اكتشفوا أنهم عاجزون عن ترك مواقعهم فقد أرغمتهم شدة النيران المصرية على الانبطاح على الأرض دون حراك ، وأرسلت قوة العدو كتيبة مدرعات لإنقاذ المظليين المحاصرين وانقضّت الدبابات الإسرائيلية على الموقع وخلال دقيقتين اشتعلت النيران في ثلاث دبابات منها ، وتحت ساتر النيران قامت قوات العدو مستعينة بعرباتها المدرعة بإخلاء الجرحى والقتلى وقد بلغ عدد القتلى في صفوف العدو إلى 70 قتيلاً و100 جريحاً ، ودام القتال 14 دقيقة متواصلة حتى كادت تفشل بسببها خطة شارون التي سماها "القلب الشجاع" لعبور قواته القناة فيما عُرف بالثغرة ، ولقد اعترف قائد فرقة المظلات العقيد "عوزي مائير" أن هذه المعركة كانت أعنف ما خاضته قواته طوال مدة الحرب كلها ..



إن قيمة هذه المعركة إلى جانب الخسائر الإسرائيلية الفادحة أنها كانت من أكثر المعارك التي تحدَّث عنها قادة إسرائيل حيث جاء ذكرها في العديد من الكتب والمؤلفات الإسرائيلية التي تحدَّثت



عن حرب أكتوبر حتى أن "موشى ديان" قال في أعقاب زيارته لأرض المزرعة الصينية في يوم 17 أكتوبر برفقة الجنرال "شارو ن" : " لم أستطع إخفاء مشاعري عند مشاهدتي لها فقد كانت مئات من العربات العسكرية المهشمة والمحترقة متناثرة في كل مكان ، ومع اقترابنا من كل دبابة كان الأمل يراودني في ألا أجد علامة

الجيش الإسرائيلي عليها ، وانقبض قلبي فقد كان هناك كثير من الدبابات الإسرائيلية .. " ، ووصف "ديان" في مذكراته لقائه مع العقيد "عوزي مائير" قائد قوة المظلات الإسرائيلية التي شاركت في معركة المزرعة الصينية فقال : " كنتُ أعرفُ عوزي جيداً منذ أن كان مديراً لمكتب رئيس الأركان في عهد الجنرال "بارليف" ، وكنت أعرف أنه فقد كثيرا من رجاله في المعركة ولكنني لم أتوقع أن أراه على هذه الصورة من الاكتئاب وكان وجهه يحمل علامات حزن تفوق الوصف !! "

.

وفي يوم 16 أكتوبر جاءت قوات الجيش الثاني من الشمال وقوات من الجيش الثالث من الجنوب لنجدة المشاة المصريين الذين كانوا يحتفظون بمراكزهم في منطقة المزرعة الصينية يواجهون شراسة الهجوم الإسرائيلي المكثف بالطيران والمدفعية ..

تصفية الثغرة :

وكانت القيادة قد عيَّنَتْ اللواء / سعد مأمون قائد الجيش الثاني الميداني للقوات المصرية المخصصة لمكافحة الثغرة وقد خُصصت للقضاء على الثغرة فرقتين مدرعتين هما الفرقة 4 ، 21 ، وثلاث فرق مشاة ميكانيكي هي الفرق : 3 ، 6 ، 23 ، ووحدات للصاعقة والمظلات بالإضافة إلى قوات متخصصة من احتياطي القيادة العامة ، وكان قرار القائد أن يدّفَع بهذه القوات للاشتباك والانضمام إلى قوات تصفية الثغرة .. ودارت معركة ضارية بالدبابات طوال الليل ، كان المصريون يقاتلون فيها دبابة دبابة ..

حتى أن جاويشًا إسرائيليا من المهندسين الذين حاصرتهم قواتنا قال : " إن المصريين أغلقوا الطريق خلفنا ، فبعد أن فشل العدو الإسرائيلي في هجومه على الجانب الأيسر للفرقة 16 مشاة عند نقطة الاتصال بينها وبين الفرقة الثانية في محاولة لمنع الاتصال بينهما ، واستطاعت الفرقتان أن تتصلا وتكونا رأس كوبري للجيش الثاني مما قضى على أمل العدو الإسرائيلي في استغلال هذه المنطقة لتحقيق الاختراق ..



لواء /محمد سعد مأمون
قائد الجيش الثاني

قام في الساعة الخامسة مساء يوم 18 أكتوبر بالهجوم بنحو 90 دبابة (كتيبة) ، وبكتيبة مشاة ميكانيكي بغرض الالتفاف من الجانب الأيمن للفرقة 16 مشاة ، ودار قتال عنيف استمر حتى العاشرة والنصف مساء وتصدَّى أبطال الفرقة 16 للقوات المهاجمة الذين فشلوا في عملية الاختراق واضطر العدو لسحب بقايا قواته إلى الخلف لتجميعها ، ورغم أن بعض الدبابات الإسرائيلية نجحت في التسرب داخل خطوط الفرقة 16 مشاة لمسافة لا تزيد كثيرا عن نصف كيلومترا إلا أن عناصر المشاة نجحت في التصدّي لها وتدميرها تماماً ، وتمكّنت الفرقة 16 مشاة في نفس الليلة من الاستيلاء على النقطتين القويتين في "الدفرسوار" باقتحام جرئ ورائع .. ويقول الجنرال "برن" عن موقف فرقته ليلة 18 أكتوبر : " بدأ المصريون يشركون في المعركة أعداداً كبيرة من طائراتهم التي شنَّت غارات رهيبة على قواتنا .. وكانت خسائرنا بالغة فقد قضينا طوال الليل نخلي قتلانا وجرحانا بالطائرات الهليكوبتر .. وبعد هذا القتال العنيف حاول "شارون" وقواته الوصول إلى الإسماعيلية نتيجة للمقاومة الضارية من قوات الجيش الثاني المتمركز جيداً ، ثم صدر قرار مجلس الأمن رقم (338) بوقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة السادسة و52 دقيقة من مساء يوم 22 أكتوبر 1973 م ، واستغلت القوات الإسرائيلية الالتزام المصري بهذا القرار وأخذت بدفع قواتها التي تقدَّمت إلى مدينة السويس وخلال الفترة من يوم 26 أكتوبر إلى 28 أكتوبر أصبحت القوات الإسرائيلية محاصرة بين جبهتي المقاومة الشعبية بالسويس التي كان يقوها الشيخ حافظ سلامة وقوات التصفية المصرية للثغرة والتي أطلقت على خطتها اسم "شامل" ،

وقد رأت القوات المصرية ألا تسمح للقوات الإسرائيلية غرب القناة بأي هدوء أو راحة ، وحرمانها من تثبيت تحصيناتها ودفاعاتها غرب القناة ، وقد تطوَّرت الأعمال الدفاعية النشطة لقواتنا إلى الحد الذي جعل البعض يطلقون على هذه المرحلة اسم حرب الاستنزاف الثانية ، وكان هدف القيادة المصرية من ورائها :

- إحداث أكبر قر ممكن من الخسائر في صفوف العدو في الأسلحة والمعدات والأفراد .
- القيام بعمليات إزعاج للعدو على أوسع نطاق ممكن فيصبح بقاؤه في القناة جحيما لا يطاق .



الشيخ حافظ سلامة يتوسط المتطوعين وأفراد الجيش

- إرغام إسرائيل على الاستمرار في تعبئة قواتها الاحتياطية مما يرهق اقتصادها القومي ويهدد الحياة العامة بالشلل التام .

- منع العدو من تحسين وتحصين مواقعه شرق وغرب القناة على السواء .

لقد مُنِيَ الإسرائيليون بخسائر فادحة في الأرواح والمعدات منذ أولى محاولاتهم لإقامة كوبري يعبرون منه إلى غرب القناة مما تسبب في تأخير ذلك كثيرا ، وكانت المدفعية المصرية والسلاح الجوي المصري من وقتٍ لآخر تلحق بهم أشد الخسائر ، وقد أكّد ذلك ضابط إسرائيلي ينتمي للفرقة التي كُلّفت بإقامة هذا الجسر ، قال : " لقد كنّا تحت النيران طوال الوقت .. وكانت نيران المصريين حطرة جداً .. لقد كنّا هدفًا للمدافع والطائرات المصرية كما كان جنودنا في المواقع الأخرى يعانون من نفس الموقف .. ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقًا في هذه المعركة .. " ، وقال ضابط إسرائيلي شارك في الثغرة يدّعى "أموس" : " لقد كُتبت لي النجاة في تلك الليلة .. إن ما حث كان معجزة بالنسبة لي ، ذلك أن القذائف المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا ومواقعنا طوال الليل .. إنني لا أستطيع أن أفهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم .. " ، ويقول ضابط إسرائيلي آخر : " إن الضربات الموجهة إلينا لا تتوقف إنك تتلقى وتتلقى وتتلقى دون أن يكون في مقدورك أن تفعل شيئًا ،

وكأن أحداً يوقفك في ركنٍ ويوجّه لك الضربات بقبضته .. وكل ما تستطيعه هو أن تتلقى هذه الضربات .. راجيا أن تنتهي إلى كسر أسنانك فقط دون أن تفقد حياتك لها " . بل أن "شارون" نفسه اعترف لمراسل صحيفة "نيويورك تايمز" فقال : " إنه من المتعذر على الإنسان أن يتصور كم كانت المعركة قاسية وشرسة ، وإني أعترف أنني كنت أخاطر بحياتي شخصيا غرب القناة .. كان الموقف بالغ السوء .. لقد استطاع المصريون أن يأخذوا المبادأة والمفاجأة .. لقد كانت حربا حقيقية .. ولقد أحسست أن الحرب سوف تتوقف في أي ساعة .. فالخسائر عالية ، والموازين الدولية تتحرك وفي أي لحظة قد ينزل على ميدان القتال قرار وقف إطلاق النار وحين يصدر هذا القرار ونحن في الوضع الذي كنّا فيه .. فسوف يكون كارثة حقيقية " .ويقول الخبير العسكري العالمي الجنرال "بوفر" : " إن القوات الإسرائيلية في غرب القناة .. كانت رهينة في أيدي المصريين إذ أنها كانت بدون عمق استراتيجي مما كان يحول بينها وبين القدرة الفعالة على الدفاع أو الهجوم المؤثر . يضاف إلى ذلك أنها كانت في قلب منطقة الحشد العسكري المصري .. إنها نوعٌ من حروب السينما ، ولولا قرار وقف إطلاق النار . واستغلال الإسرائيليين له بانتهاكه في الوقت الذي احترمه المصريون . لولا ذلك لتحولت هذه العملية السينمائية أو التليفزيونية إلى كارثة تقصم جيش الدفاع الإسرائيلي .. " .

إن تقييم النتائج النهائية لهذه الثغرة كما هو واضح يبين مى فشل الهدف الأساسي منها ، وما تحقق منها إن هو إلا محاولة لرفع الروح المعنوية الإسرائيلية ، والحصول على ورقة للمساومة ، وقد تحقق ذلك باستغلال إسرائيلي نذل لقرار وقف إطلاق النار ، كما قال خبير إنجليزي : " لو قسنا نحن هذا الإنجاز الضيق بما تكبَّدته القوات الإسرائيلية من خسائر فوق الاحتمال .. فإننا نجد أن النتيجة النهائية تبلورها تماما هذه الكلمات التي قالها الجنرال الإسرائيلي "حاييم بارليف" عن قائد الثغرة : " لماذا يتبجح شارون ؟! " ..

تلك هي الثغرة التي جاهدت الدعاي الصهيونية في تضخيمها وجعلها عملاً موازيا للعبور المصري والضربات القاتلة التي وجهتها قواتنا المسلحة والقوات السورية مع الجهود العربية المخلصة التي نالت جميعا من إسرائيل وجيشها الذي قالوا أنه لا يقهر ..

تلك الثغرة التي ضحَّت إسرائيل فيها بجنودها وضباطها يتساقطون قتلى وجرحى وأسرى بلا عدد ، وتركت الذين وصلوا منهم إلى الضفة الغربية فريسة لغارات رجال الصاعقة المصريين ومدافع ودبابات الجيش الثاني والقوات التي أحكمت عليهم الحصار من كل جانب للثغرة ..

لعل ما يلخص هذه الصورة الأخيرة للثغرة .. حالة الذعر التي كانت تنتاب الإسرائيليين بمجرد انطلاق بعض القذائف عليهم حتى أن الكثيرين منهم كانوا يبرزون من مواقعهم يصيحون موجهين نداءاتهم للمصريين الذين يحتلون مواقع في مواجهتهم قائلين : " لسنا نحن الذين أطلقنا هذه القذائف .. لا تضربونا !! .. " .

ونجحت القوات المصرية في إنهاء خطر الثغرة بعد تكبيدها خسائر فادحة ، ففي الفترة الممتدة من 23 أكتوبر وحتى 28 أكتوبر حدث 1500 اشتباك نيراني خلال 439 عملية ، أسفرت في الجانب الإسرائيلي عن الخسائر الآتية :

- **تدمير ما يأتي : 11 طائرة .**

41 دبابة وعربة مجنزرة .

10 رشاشات ثقيلة .

36 بلدوزر ومعدة هندسية وعربة ركوب .

- **إصابة ناقلة البترول لإسرائيلية "سيرينا" بعطبٍ جسيم .**

- **إغراق قارب إنزال بحري .**

- **مقتل 187 جندي وضابط إسرائيلي فضلاً عن مئات الجرحى .**

وهكذا إلى أن أُذيع اتفاق الفصل بين القوات الذي أنقذ القوات الإسرائيلية من هلاكٍ محقق ، فلقد كان الهجوم الإسرائيلي على مدينتي الإسماعيلية والسويس من الغباء بأنه لولا التدخل الأمريكي لوقف إطلاق النار لتمت تصفية القوات الإسرائيلية داخل الثغرة ..

البطل ولحظات الانتصار والتكريم :

وانتصرت مصر في معركة عظيمة أثبتت أن المقاتل المصري فيها خير أجناد الأرض ، وأن القيادة المصرية هي العظم تخطيطاً وتكتيكاً وإعداداً ، والجندي المصري هو الأجدر بإحراز النصر وإن تكالبت عليه كل قوى الشر ..

وكرَّمت مصر أبطالها الذين قادوها إلى النصر ، فمنح الرئيس السادات قائد الفرقة 16 مشاة العميد عبد رب النبي حافظ وسام الشرف الذي يَمنح لضباط القوات المسلحة الذين يقومون بأعمال استثنائية تدل على التضحية والشجاعة الفائقة ، لما بذله من جهدٍ في حرب أكتوبر 73 ، كما حصل على العديد من الأوسمة والنياشين ، ورُقِّيَ إلى رتبة اللواء .

وتدرج في المناصب القيادية بالجيش فشغل منصب سكرتير عام وزارة الحربية ، ثم نائب مدير إدارة المخابرات والاستطلاع ، ثم أصبح قائداً للجيش الثاني الميداني ، ثم رئيسا لهيئة القوات المسلحة ، إلى أن شغل منصب رئيس أركان القوات المسلحة فيما بعد ..

وهكذا يكون عرفان مصر بجميل أبنائها المخلصين الذين يسهمون في رفع هامة مصر عالياً في عنان السماء أمثال البطل عبد رب النبي حافظ الذي عمل بجدٍ وأخلص لوطنه وتفانى في حبه والتضحية من أجله طوال سنوات عمله في خدمته ..

تواريخ هامة

- ولد رفعت عبد رب النبي حافظ بمحافظة القاهرة في 16 يونيو عام 1930م .
- تخرج عبد رب النبي حافظ في الكلية الحربية ملازم بسلاح المشاة .
- شارك في حرب 56 التي واجهت فيها مصر قوى العدوان الثلاثي ، وشارك في عمليات القوات العربية باليمن .
- شارك في حرب يونيو 1967م وكان قائد كتيبة مشاة .
- عمل مديرا لمدرسة المشاة ، ومدرسا بكلية القيادة والأركان .
- قاد بنجاح الفرقة 16 مشاة في حرب أكتوبر 73 ، وكانت فرقته في مواجهة المنطقة المفصلية بين الجيشين الثاني والثالث ، واشتبك مع قوات العدو الإسرائيلي في "النقطة 57" و"الطالية" وواصل التقدم بقواته ليشتبك مع العدو الإسرائيلي في معارك الدبابات ، واستطاع تدمير أحد أجنحة الثغرة الإسرائيلية في المزرعة الصينية .
- تمت ترقيته إلى رتبة اللواء تكريما لجهوده البارزة في حرب أكتوبر73 .
- منح وسام نجمة الشرف عام 1973م تقديرا لجهوده في الحرب .
- تدرَّج في المناصب ليشغل منصب سكرتير عام وزارة الحربية ، ثم رُقِّيَ ليصبح نائبا لمدير إدارة المخابرات والاستطلاع ، ثم قائداً للجيش الثاني الميداني ، ثم رئيسا لهيئة أركان القوات المسلحة .

المراجع والمصادر

1. بطولات حرب رمضان / محمد حسين طنطاوي .. ط1 ..

القاهرة : دار الشعب ، 1974م .

2. يوميات مذيع في جبهة القتال / حمدي الكنيسي .. ط1 ..

القاهرة : دار الشعب ، 1974م .

3. 6أكتوبر الحرب الألكترونية الأولى / محمد عبد المنعم .. ط1 ..

القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م .

4. العمليات الحربية على الجبهة المصرية / جمال حماد .. ط1 ..

القاهرة : دار الشعب ، [19 .]

5. مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات

بحرب أكتوبر 1973 : المعارك الحربية على الجبهة

المصرية / جمال حماد .. ط1 .. القاهرة : دار الكتاب

المصري ، [. 19]

مواقع النت

http://elkateb.maktoobblog.com – 1

http://www.medals.org. - 2

http//www.almoarekh.com - 3

www.files.gostshare.com http:// -4

www.group73historians.com//:http - 5

فهرس